تفسير

سورة العنكبوت[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢ . ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ . قال الشعبي : لما نزلت آية الهجرة كتب بها المسلمون إلى إخوانهم بمكة ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق أدركهم المشركون ، فردوهم ، فأنزل الله : ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ عشر آيات من أول السورة[٢] . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وقال : يريد بالناس الذين آمنوا بمكة : سلمة بن هشام ، وعياش ابن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر ،

---

(١) سورة العنكبوت مكية ، يقال : نزلت بين مكة والمدينة في طريق النبي ﷺ ، حين هاجر إلى المدينة ، وهي تسع وستون آية . تفسير مقاتل ٧٠أ . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٥أ . وقد ذكر الثعلبي في أولها بإسناده حديث أُبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ في فضل هذه السورة ، وكذا فعل الواحدي في الوسيط ٣/ ٤١٢ ، وهو حديث موضوع سبق الحديث عنه في أول سورة الفرقان .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٥ ، وابن جرير ٢٠/ ١٢٩ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣١ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٥٥ب ، والواحدي في أسباب النزول ٣٤٠ .

وياسر بن عامر ، وسمية أم عمار[١] ، وعدة من بني مخزوم ، وغيرهم

(١) سلمة بن هشام ، هو أخو أبي جهل ، من السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، ثم رجع إلى مكة ، فحبسه أخوه وكان النبي ﷺ يدعو له ولعياش بن أبي ربيعة في القنوت ، ثم هرب مهاجراً بعد الخندق رضي الله عنه . انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٣١٦ ، والإصابة في معرفة الصحابة ٣/ ١٢٠ ، عياش بن أبي ربيعة ، اسم أبيه : عمرو بن المغيرة ، وكان عياش من السابقين إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، ثم خدعه أبو جهل فرجع إلى مكة فحبسه ، ثم فرَّ مع رفيقيه ؛ الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعاش إلى خلافة عمر رضي الله عنه ، فمات سنة خمس عشرة هـ ، وقيل : قبل ذلك . وقيل : استشهد في اليمامة ، وقيل : اليرموك . انظر فتح الباري ٨/ ٢٢٧ ، والإصابة ٥/ ٤٧ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣١٦ .

الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، أخو خالد بن الوليد ، سِر مع مَن أُسِر من المشركين في بدر ، ثم أسلم بعد ذلك ، فلمَّا أسلم حبسه أخواله فكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت مع غيره من المستضعفين ، ثم أفلت من أسرهم ولحق بالنبي ﷺ في عمرة القضية . انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١١/ ٣٤ ، والإصابة في معرفة الصحابة ٦/ ٣٢٣ .

ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين ، حليف لبني مخزوم ، يكنى : أبا عمار بابنه عمار بن ياسر ، كان قد قدم من اليمن ، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي ، وزوَّجه أبو حذيفة أَمَةً له يقال لها : سمية فولدت له عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة ، وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وابنه عمار وسمية ، وعبدالله أخو عمار بن ياسر ، وكان إسلامهم قديماً في أول الإسلام ، وكانوا ممن يعذب في الله ، وقُتل ياسر وسمية وعبدالله وهم يعذبون رضي الله عنهم . انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١١/ ٩٩ ، والإصابة في معرفة الصحابة ٦/ ٣٣٢ .

وقد ثبت في الصحيح دعاء النبي ﷺ لعياش بن أبي ربيعة ، ومن كان معه من المستضعفين في مكة ، في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول : «اللَّهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، اللَّهم أنج سلمة بن هشام ، اللَّهم أنج الوليد بن الوليد ، اللَّهم أنج المستضعفين من المؤمنين ، اللَّهم اشدد وطأتك على مُضر ، اللَّهم اجعلها سنين كسني يوسف» . قال ابن أبي الزناد عن أبيه : هذا كله في الصبح . أخرجه البخاري ، كتاب : الاستسقاء ، رقم الحديث ١٠٠٦ ، فتح الباري ٢/ ٤٩٢ ، وأخرجه مسلم ١/ ٤٦٧ ، في المساجد ، رقم ٦٧٥ ، وفي آخره قال أبو هريرة : ثم رأيت رسول الله ﷺ ترك الدعاء بعدُ فقلت : أرى رسول الله ﷺ قد ترك الدعاء لهم ، قال : فقيل : وما تراهم قد قدموا . وفي حاشية صحيح مسلم : وما تراهم قد قدموا ، معناه : ماتوا ! ولم أجد هذا المعنى في شرح النووي على صحيح مسلم ، وهو تعليق غريب ، لا يتضح به المعنى المراد ، والمعنى الصحيح ما ذكره أبو حاتم محمد بن حبان البستي : الصواب أن اللعن على الكفار والمنافقين في الصلاة غير منسوخ ، ولا الدعاء للمسلمين ، والدليل على صحة هذا قوله ﷺ في خبر أبي هريرة : «أما تراهم وقد قدموا» تُبين لك هذه اللفظة أنهم لولا أنهم قدموا ، ونجاهم الله من أيدي الكفار لأثبت القنوت ﷺ ، وداوم عليه . ابن حبان في الإحسان ٥/ ٣٢٧ ، رواية ابن حبان : أما تراهم وقد قدموا . ورواية مسلم : وما تراهم قد قدموا . فكأن المعلق فهم من هذه الرواية النفي ، والله أعلم .

من قريش[١] .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿الٓمٓ﴾ قال : إن الله أعلم[٢] ، وقال عكرمة : ﴿الٓمٓ﴾ قسم[٣] .

واختار الزَّجَّاج قول ابن عباس[٤] .

وقال في قوله : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ : اللفظ لفظ استخبار ، والمعنى معنى تقرير وتوبيخ ، ومعناه : أحسبوا بمعنى الذين جزعوا من أذى المشركين أن نقنع منهم بأن يقولوا : إنَّا مؤمنون فقط ، ولا يمتحنون بما يتبين به حقيقة إيمانهم[٥] .

وقوله : ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ : (أن) في موضع نصب بحَسِب .

وقوله : ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ : (أن) في موضع نصب من جهتين ذكرهما الفرَّاء والزَّجَّاج ؛ إحداهما أن التقدير : ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ لأن يقولوا أو بأن يقولوا ، فلمَّا حذف حرف الخفض وصل ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾ إلى أن فنصب .

---

(١) لم أجد هذا القول ، ويوجد قول آخر في سبب النزول ، ذكره مقاتل ٧٠ب ، قال : نزلت في مِهْجَع بن عبدالله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر ، وهو أول من يدعى إلى الجنة من شهداء أمة محمد ﷺ ، فجزع عليه أبواه . وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٥٥ب ، والواحدي في أسباب النزول ٣٤٠ ، وقال عنه الزيلعي : غريب . تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ٣٩ ، وساق ما روي في شأن مِهْجَع رضي الله عنه . ولا تعارض بين هذه الأسباب ؛ فكلها أمثلة لمن حصل لهم البلاء بسبب إيمانهم . وحكمها باقٍ . قال ابن عطية : وهذه الآية وإن كانت نازلة بهذا السبب ، وفي هذه الجماعة ، فهي بمعناها باقية في أمة محمد ﷺ ، موجود حكمها بقية الدهر ؛ وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونِكاية العدو ، وغير ذلك .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٢٩ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير وأبي الضحى . وسبق ذكر رأي الواحدي في الحروف المقطعة والتعليق عليه في أول سورة الشعراء .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٠ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٥٩ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٥٩ .

والثانيــة : أن تجعل ﴿أَحَسِبَ﴾ مكــررة عليها . المعنــى : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ أحسبوا[١] ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢] . قال أبو إسحاق : الأولى أجود[٣] .

قال أبو علي : إن تَرَك ، يتعدَّى إلى مفعول واحد ، فإنْ بُنِيَ للمفعول لم يتعدَّ إلى آخَر ، فـ ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ لا يتعلق به ولا يتعدى إليه ، حتى يُقدَّر محذوفٌ[٤] حرفٌ ، ثم يُقدَّرُ الحرفُ فيصل الفعل[٥] .

قوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ . قال ابن عباس والسدِّي ومجاهد وقتادة : لا يفتنون في إيمانهم وأموالهم وأنفسهم[٦] .

قال مقاتل وقتادة : يقول : أحسبوا أن يتركوا على التصديق بتوحيد الله ، وهم لا يبتلون بالقتل وبالتعذيب في الدنيــا بقولهم : آمنَّا[٧] ، وهم لا يعاملون معاملة المختَبَر لتظهر الأفعال التي يُســتحق عليها الجزاء ، ثم أخبر عن فتنة مَنْ قبل هذه

---

(١) (أحسبوا) زيادة من الفرَّاء .

(٢) معاني القرآن للفــرَّاء ٢/ ٣١٤ ، التقدير على هذا القول : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ أحســب الناس ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ ، وجملة ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ متعلقة بالحالين : الترك ، والقول ، والله أعلم .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٥٩ .

(٤) محذوف من نسخة (ب) .

(٥) الإغفال في ما أغفلــه الزَّجَّاج من المعاني ٢/ ٢٢١أ . والحرف المقدَّر هو ما ســبق ذكره في قول الفرَّاء والزَّجَّاج : لأن يقولوا ، أو : بأن يقولوا .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٢٨ عــن مجاهد وأخرجه عبدالــرزاق ٢/ ٩٦ ، وابن جرير ٢٠/ ١٢٨ عن قتادة بلفظ : (لا يبتلون) ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٢ عن مجاهد ، وســعيد بن جبير ، وقتادة ، والربيع بن أنس .

(٧) تفســير مقاتل ٧٠ب بمعناه . قال ابن قتيبة : ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ؛ أي لا يقتلون ولا يعذبون . غريب القرآن ٣٣٧ .

الأمة من المؤمنين[١] بقوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ .

٣. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ : قالوا جميعاً : ابتلينا[٢] .

قال ابن عباس : منهم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وقوم كانوا معه ومِنْ بعده نُشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه[٣] .

وقال غيره : يعني بني إسرائيل ، ابتلوا بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب[٤] .

قوله تعالى : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ . قال مقاتل : يقول : فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم من هذه الأمة عند البلاء ، فيصبروا لقضاء الله . ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ يقول : وليرين ﴿ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[٥] ، فتنوا عند البلاء والتمحيص ، يعني المنافقين .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٠ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٢٩ عن مجاهد وقتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٢ عن الضحاك ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء . وتفسير مقاتل ٧٠ ب ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٣ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٧ ، وقال في تأويل مشكل القرآن ٤٧٢ : اختبرنا .

(٣) ورد هذا المعنى في حديث مرفوع أخرجه البخاري ، كتاب : مناقب الأنصار ، رقم الحديث ٣٨٥٢ ، فتح الباري ٧/ ١٦٥ من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه ، قال : أتيت النبي ﷺ ، وهو متوسد بردة ، وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : يا رسول الله ، ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمرٌّ وجهُه فقال : «لقد كان مَنْ قبلكم ليُمشط بمشاط الحديد ، ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرِق رأسه فيُشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه . ولَيُتمن الله هذا الأمر حتى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله» . زاد بيان : «والذئبَ على غنمه» . وقول ابن عباس ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٧/ ٤٢٨ .

(٤) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٧/ ٤٢٨ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

قال أبو إسحاق : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ صِدْق الصادق بوقوع صدقه منه ، ووقوع كذب الكاذب منه ، وهو الذي يجازَى عليه ، والله -عز وجل- قد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما ، ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازَى عليه[1] . يعني أن قوله : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ جاء بلفظ الاستقبال لحدوث المعلوم ، وهو الصدق والكذب ، وإنما يعلم صدق الصادق كائناً عند حدوثه ، وكذلك كذب الكاذب ، وقد بيَّنَّا هذا بياناً شافياً عند قوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة :١٤٣][2] .

واختار صاحب النظم في قوله : ﴿الٓمٓ﴾ أن يكون قسماً ، وجعله واقعاً على قوله : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ ، وجعل قوله : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ كلاماً معترضاً بين القَسَم وبين ما هو واقع عليه ، قال : ودلَّ على هذا دخول النون الثقيلة في قوله : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ ، كما تقول : والله لأضربنَّ عمراً .

فإن قيل : لِمَ دخلت الفاء في قوله : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ ؟ قيل : إنه لَمَّا يجئ بالجواب لقوله : ﴿الٓمٓ﴾ ، حتى قال : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ صار كأن قوله : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ معطوفاً عليه وجواباً له فقد اشترك قوله : ﴿الٓمٓ﴾ وقوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في قوله : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ للعطف على معنى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ ؛ وذلك أن الله تعالى لَمَّا قال : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت :٢] كان إنكاراً لحسبانهم أنهم لا يفتنون ، وإذا كان إنكاراً ففيه دليل على أنه -عز وجل- أوجب أن يفتنهم ؛ لأنه لا ينكر شيئاً إلا ويوجب ضده ، ثم لَمَّا قال : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ دلَّ بهذا القول على

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٠ .

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قوله تعالى : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ : والله تعالى عالم لم يزل ، ولا يجوز أن يَحدث له علم ، واختلف أهل المعاني في وجه تأويله ؛ فذهب جماعة إلى أن العلم له منزلتان : علم بالشيء قبل وجوده ، وعلم به بعد وجوده ، والحُكم للعلم بعد الوجود ؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب ، والمتعبَّد بالشيء إذا لم يُطع وعصى علمه الله تعالى عاصياً ، وإذا أطاع علمه مطيعاً ، وكان قبل أن أطاع لم يعلمه علماً يستحق به الثواب ، وإن كان في معلوم الباري أنه يطيع فمعنى قوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ؛ أي لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب .

هذا المعنى من إيجاب الفتنة ، فيكون تأويله : لنفتنهم كما فتنَّا الذين من قبلهم ، ثم صار قوله : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ معطوفاً على هذا التأويل .

وقال في قوله : ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ : ليس هذا من الصدق اللازم الذي تأويله : صَـدَق في قوله ، وهو من الصدق المتعدي الذي يقـال عنه : صَدَقَنِي فلانٌ ؛ أي قال لي الصدق ، وكَذَبَنِي ؛ أي قال لي الكذب ، والمعنى : ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ الله ما وعدوه ؛ أي تمُّوا عليه ووفوا به . ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ الذين كذبوا الله ما وعدوه . وقال في قولـه : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ : لا يعني بذكـر الفتنة إلا من أضمر الإيمان والإسلام دون الكافر ؛ لأن الفتنة تجريب ، كما يفتن الذهب والفضة بالنار إذا أحميا ليظهـر صفاؤهما وخبثهما ، والكافر ظاهر خبثـه ، فلا حاجة إلى تجريبه بالفتنة . انتهى كلامه .

٤. قـال مقاتل : ثم أوعد كفـار العرب فقـال : ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني الشرك[١] .

قال ابـن عبـاس : يعنـي الوليد بـن المغيرة ، وأبـا جهل ، والأسـود ، والعاص بن هشام ، وغيرهم من قبائل شتى[٢] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٠ ب . وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٣ عن قتادة . وهو قول الثعلبي ٨/ ١٥٦أ .

(٢) تنوير المقباس :٣٣٢ بنحوه .

الأسـود بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قتله يوم بدر حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٧٠ .

العاص بن هشـام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومـي ، أخو أبي جهل ، قتله يوم بدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٦٨ ، والأعلام ٣/ ٢٤٧ .

وقال مقاتل : نزلت في بني عبد شمس ؛ منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وعقبة ابن أبي معيط ، والعاص بن وائل[١] .

وقال الكلبي : نزلت في الذين بارزوا عليّاً وحمزة وعبيدة بن الحارث يوم بدر ، وهم : عتبة وشيبة والوليد بن عتبة[٢] .

قوله تعالى : ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : [أن يفوتونا][٣] ، وقال مجاهد : أن يعجزونا[٤] ، والمعنى : أن يفوتونا فوت السابق لغيره[٥] .

قال مقاتل : أن يفوتونا بأعمالهم السيئة ، كلا بل نخزيهم بها في الدنيا ، فقتلهم الله ببدر[٦] .

قوله تعالى : ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . قال ابن عباس : بئس ما حكموا لأنفسهم[٧] ، وقال أبو إسحاق : موضع ﴿مَا﴾ نصب على : ساء حكماً يحكمون ، كما تقول : نعم رجلاً زيدٌ ، ويجوز أن يكون رفعاً على معنى : ساء الحكم حكمهم[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٠ ب .
(٢) تنوير المقباس :٣٣٢ .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من النسختين ، ولا يستقيم الكلام من دونه . وهو في تفسير مقاتل ٧٠ب ، وتنوير المقباس :٣٣٢ ، وتفسير ابن جرير ٢٠/ ١٣٠ .
(٤) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٣ عن مجاهد .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٠ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٦أ بمعناه .
(٦) تفسير مقاتل ٧٠ ب .
(٧) تنوير المقباس :٣٣٢ .
(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٠ .

٥. قوله تعالى : ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي يخاف البعث والحساب ، قاله المفسرون[١] . قال مقاتل : يعني من كان يخشى البعث في الآخرة فليعمل لذلك اليوم[٢] ، كقوله : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف :١١٠] .

وقال سعيد بن جبير : من كان يطمع في ثواب الله[٣] . واختار أبو إسحاق هذا القول ، وقال : معناه : من كان يرجو ثواب لقاء الله[٤] ؛ أي ثواب المصير إلى الله . والرجاء على هذا القول معناه : الأمل ، وعلى القول الأول معناه : الخوف . ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد يوم القيامة[٥] .

وقال صاحب النظم : هذا مقتص من قوله : ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام :٢] ، والأجل المسمى[٦] عنده : البعث والقيامة ، ولذلك أضاف الأجل إلى نفسه عز وجل .

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . قال ابن عباس : لقولكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في الدنيا العليم به .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٤ عن سعيد بن جبير والسدِّي بلفظ : (يخشى) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١١٣ ، وقال ابن قتيبة : يخافه . غريب القرآن ٣٣٧ ، وهو قول ابن جرير ٢٠/ ١٣٠ ، والثعلبي ٨/ ١٥٦أ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٠ب .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٦أ بنصه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٤ بلفظ : (من كان يخشى) ، وبلفظ : (البعث في الآخرة) ، وبلفظ : (ثواب ربه) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٠ . وقد ردَّ على من قال بأن معنى الرجاء هنا الخوف ، فقال : فأمَّا من قال : إن معناه الخوف ، فالخوف ضد الرجاء ، وليس في الكلام ضد .

(٥) تفسير مقاتل ٧٠ب .

(٦) المسمى من نسخة (أ) .

٦. قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾. قال ابن عباس: يريد لمرضاة الله ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾، وقال مقاتل: يقول: من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عن أعمالهم وعبادتهم.

٧. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾. قال ابن عباس: يريد ما عملوا في الشرك، يريد: لَيُبْطِلها حتى تصير بمنزلة من لم يعمل. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟﴾. قال مقاتل: نجزيهم بإحسانهم ولا نجزيهم بمساوئهم[٢]، والمعنى: لنجزيهم بأحسن أعمالهم، وهو ما أمرناهم به من الطاعة[٣].

٨. وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾. قال الأخفش: هو على: ووصيناه بحسن، وقد تقول العرب: وصيته خيراً؛ أي وصيته بخير[٤]. وقال غيره: هو بمعنى: ألزمناه حسناً، أو وصيناه أن يفعل حسناً[٥]. قال أبو إسحاق: معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن[٦].

قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص. واسم أبي وقاص: مالك، لَمَّا هاجر قالت أمه: والله لا يظلني ظل بيت حتى ترجع إلى ما كنت عليه، فحثَّ الله

---

(١) تفسير مقاتل ٧٠ ب.

(٢) تفسير مقاتل ٧١أ.

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٦أ.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥٥.

(٥) قال ابن جرير ٢٠/ ١٣١: وقال بعض نحوي الكوفة: معنى ذلك: ووصينا الإنسان أن يفعل حسناً، ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه إذا كان في ما بقي دلالة على ما سقط. وذكر هذا القول الثعلبي ٨/ ١٥٦أ، ونسبه إلى أهل الكوفة.

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦١.

سعداً على البر بأمه ، ونهاه أن يطيعها في الشرك ، وهو قوله : ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1] ؛ أي لتشرك بي شريكاً لا تعلمه لي ، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ ، وقال عطاء عن ابن عباس : نزلت في عياش بن أبي ربيعة ، أخي أبي جهل لأمه ، والقصة في ذلك مشهورة[2] .

---

(١) أخرج سبب نزول هذه الآية مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٧ ، كتاب : فضائل الصحابة ، رقم ١٧٤٨ بعد حديث رقم ٢٤١٢ ، وأخرجه أيضاً أبو يعلى الموصلي في مسنده ٢/ ١١٦ ، رقم ٧٨٢ ، وروى بعضه البخاري في الأدب المفرد ، باب : بر الوالد المشرك ، رقم ٢٤ ، صحيح الأدب المفرد : ٤٠ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣١ عن قتادة . وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٦ عن قتادة ، ومصعب بن سعيد ، وذكره مقاتل ٧١أ ، والثعلبي ٨/ ١٥٦أ ، وأخرجه الواحدي بإسناده في الوسيط ٣/ ٤١٤ ، وكذا في أسباب النزول ٣٤٠ ، لكن صدَّره في أسباب النزول بقوله : قال المفسرون : نزلت في سعد بن أبي وقاص . فلعله يريد بذلك : الاتفاق على نزولها في سعد رضي الله عنه ، والله أعلم .

(٢) ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول ١٦٩ ، عند قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء :٩٢] ، ولم أجدها في تفسيره البسيط ؛ حيث أفاد محقق سورة النساء أن تفسير هذه الآية من القسم المفقود من كتاب البسيط . وذكر هذه القصة الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ، في سورة النساء ١/ ٣٣٩ ، وفي سورة العنكبوت ٣/ ٤١ . وملخص هذه القصة أن عياش هاجر مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مترافقين ، حتى نزلا المدينة ، فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه . . . . فنزلا بعياش ، فقالا له : إن من دين محمد صلة الأرحام ، وبر الوالدين ، وقد تركت أمك لا تطعم ، ولا تأوي بيتاً حتى تراك وهي أشد حُباً لك منَّا ، فاخرج معنا فاستشار عمر ، فقال : هما يخدعانك ولك عليَّ أن أقسم مالي بيني وبينك ، فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر ، فقال عمر : أمَّا إذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها ، فإن رابك منهما ريب فارجع ، فلمَّا انتهوا إلى البيداء ، قال أبو جهل : إن ناقتي قد خلأت فاحملني معك ، قال : نعم ، فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشدَّا وثاقه ، ونزلا فجلداه كل واحد منهما مائة جلدة ، وذهبا به إلى أمه ، قالت له : لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد ففتناه فافتتن . قال الزيلعي : رواه البزار في مسنده ، ثم ساق سنده ، ثم قال : وكذلك رواه ابن هشام في السيرة ، عن ابن إسحاق بسنده المذكور ومتنه سواء ، ونقله الثعلبي بلفظ المصنف عن مقاتل . وقد ألمح ابن حجر إلى نقد هذه الرواية فقال : أخرجه الثعلبي بغير سند ، والواحدي عن ابن الكلبي ، ورواه الطبري من طريق أسباط عن السدِّي بتغيير يسير . الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١/ ٥٣٨ ، ومعنى : خلأت : بركت فلم تقم . تهذيب اللغة (خلأ) ٧/ ٥٧٧ .

ثم أوعد بالمصير إليه ، فقال : ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها لأجازيكم عليها ؛ لأن فائدة الإخبار هنا : المجازاة عليها ، والمعنى أن طاعة الله في البر بالأم عمل صالح ، [وطاعة الأم بالشرك بالله عن شيء يجازي الله عليها من عمل بأجرها][(١)] .

٩. وقوله : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ . قال مقاتل : لندخلنهم مع الصالحين الجنة[(٢)] ، وقال ابن جرير : أي في مُدخل الصالحين ، وهو الجنة[(٣)] .

وقال صاحب النظم : تأويله : لندخلنهم الجنة في زمرة الصالحين ، وهو من باب الاختصار . والمراد بالصالحين : الأنبياء والأولياء[(٤)] .

١٠. قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : نزلت في قصة عياش بن أبي ربيعة أسلم وهاجر ، فلمَّا ضرب على الإسلام وعوقب ارتد ورجع إلى الكفر[(٥)] .

---

(١) ما بين المعقوفين هكذا كتب في النسختين ، ولعل الصواب والله أعلم : وطاعة الأم بالشرك بالله عمل سيئ يجازي الله عليها من عمل بها .

(٢) تفسير مقاتل ٧٠ب .

(٣) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٣٢ ، وقد ذكره عنه بنصه الثعلبي ٨/ ١٥٦ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٧ عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكره بنصه الثعلبي ١٥٦ب ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٧١أ في خبر طويل ، وتنوير المقباس :٣٣٢ مختصراً . وذكره الثعلبي ٨/ ١٥٦ب بطوله ، ونسبه إلى مقاتل والكلبي ، وأخرج ابن جرير ٢٠/ ١٣٣ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٧ عن ابن عباس أنها نزلت في قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، وقُتل بعض ، قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمون وأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء :٩٧] ، قال : فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية : لا عذر لهم ، فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم هذه الآية . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن شريك ، وهو ثقة . مجمع الزوائد ٧/ ١٠ . =

وهو معنى قولــه : ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ ، يعني ضرْب إخوته وأمه إيَّاه ليفتنوه عن دينه ، وهو قوله تعالى : ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ .

وقال مقاتل : يقول : جعل عذاب الناس في الدنيا كعذاب الله في الآخرة[١] .

وقال أبو إسحاق : جزع من عذاب الناس كما يجزع من عذاب الله[٢] .

وقال صاحب النظم : أي جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه ، فأطاع الناس كــما يطيع الله من خاف عذابَه ، وفي نزول هذه الآية قول آخر ، قال مجاهد : نزلت في أناس يؤمنون بألســنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفســهم أو أموالهــم افتتنوا ، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة[٣] ، ونحو هذا قال السدِّي ومقاتل ، قال : هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر[٤] .

قال أبو إسحاق : وينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذية في الله عز وجل[٥] .

قولــه تعــالى : ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ ابتداء كلام آخر على القول الأول[٦] ، وهو : إخبار عن المنافقين . قال مقاتل : ثم اســتأنف : ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ ، يعني دولة للمؤمنين[٧] .

= وهــذا هو الصواب جعل الآية عامة ، أمَّا ما ذكره الواحدي عن ابــن عباس ومقاتل من ارتداد عياش ، وجعل نزول الآية فيه ، فهذا ليس بصواب ؛ لما ســبق في ترجمة عياش مــن أنه لم يرتد ، بل صبر على فتنة قومه .

(١) تفسير مقاتل ٧١أ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦١ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٢ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٧ ، وذكره الثعلبي ١٥٦ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٧ عن السدِّي بمعناه . وتفسير مقاتل ٧١ ب بمعناه .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦١ .

(٦) أي على القول بأنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة .

(٧) تفسير مقاتل ٧١ب .

وقال ابن عباس : نصر لأولياء الله وأهل طاعته[١] .

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ : يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ على عدوكم[٢] . وعلى القول الثاني يتصل قوله : ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ بما سبقه ، وهو اختيار صاحب النظم ، أخرج ﴿مِّن﴾ موحداً في أول الآية ، وأخرجه مخرج الجمع في قوله : ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ موحد مرةً على اللفظ ، وجُمع مرةً على المعنى . وكذلك القُرَّاء يختلفون في الوقف عند قوله : ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ فهو عند نافع تمام ، وعند غيره ليس بتمام ؛ لاتصاله بما قبله[٣] .

قوله تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ : بضمائر العالمين وأسرارهم من الإيمان والنفاق ، وغير ذلك ؛ أي لا يخفى عليه كذبهم في ما قالوا : ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ ننصركم على عدوكم .

قال صاحب النظم : دلَّ بقوله : ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على أنهم كاذبون في قولهم : ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ .

١١. وقوله : ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ . قال مقاتل : وليرين الله الذين صدقوا عند البلاء فثبتوا على الإسلام ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالشك عند البلاء[٤] وترك الإيمان ورجوعهم إلى دينهم الأول . وذكرنا معنى : ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ آنفاً .

---

(١) في تنوير المقباس :٣٣٢ : (فتح مكة) .

(٢) تفسير مقاتل ٧١ب .

(٣) هكذا في النسختين :(لاتصاله بما قبله) ،وهو خطأ ،والصواب :(لاتصاله بما بعده) .قال النحاس :﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ عن نافع تم ، قال غيره : والتمام ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . القطع والائتناف ٢/ ٥١٩ .

(٤) تفسير مقاتل ٧١ب .

وقال صاحب النظم : دلَّ بهذه الآية أن انقيادهم لمن آذاهم ، وميلهم إليهم ، وترك الصبر على الأذى في الله خروج من الإيمان ، ودخول في الشرك في جملة المنافقين الذين لا يصبرون عند البلاء .

١٢. وقوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ . قال مجاهد : هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم ، قالوا لهم : لا نُبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا ، فإن كان عليكم شيء فهو علينا[١] ، ونحو هذا قال الكلبي[٢] .

وقال مقاتل : قال أبو سفيان بن حرب لعمر بن الخطاب ، وعمار ، وخباب ، ومن آمن من قريش : اتبعوا ديننا ملة آبائنا ، ونحن الكفلاء[٣] بكل تبعة من الله تصيبكما ، فذلك قوله : ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾[٤] .

قال الأخفش : جزم على الأمر ، كأنهم أمروا أنفسهم[٥] .

وقال الفرَّاء : هو أمر فيه تأويل جزاء ، كما أن قوله : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ [النمل :١٨] نهي فيه تأويل الجزاء ، وهو كثير في كلام العرب . قال الشاعر :

فقلتُ ادعِي وأَدْعُ فإنَّ أندى ... لِصَوتٍ أن يُنادِيَ داعيانِ

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٩ عن مجاهد ، وأخرجا نحوه عن الضحاك .
(٢) تنوير المقباس :٣٣٣ .
(٣) في نسخة (ب) : (الكفلة) .
(٤) تفسير مقاتل ٧١ب .
(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥٥ .

أراد : ادعِي ولأَدْعُ ، كأنه قال : إن دعوتِ دعوتُ[١] .

وقال صاحب النظم : قال لهم ارجعوا إلى ديننا لنضمن عنكم كلَّ ما يجئكم من ذلك . وذكر أبو إسحاق نحو ما قال الفرَّاء ، فقال : هو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء . المعنى : إن تتبعوا طريقنا الذي نسلكه في ديننا حملنا خطاياكم ، إن كان فيه إثم فنحن نحتمله[٢] .

وقال المبرِّد : ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ أمر ، ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ معطوف عليه ، وإنما أمروهم ثم عادوا فأمروا أنفسهم ، ولا تحذف اللام إلا من الأمر المواجهة وما سوى ذلك فلا بدَّ من اللام ، تقول : قم وليقم زيد[٣] ، وهذا وجه غير ما ذكره الفرَّاء والزَّجَّاج ، وهو أحسن .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ معناه : من شيء يخفف عن المحمول عنه العذاب[٤] . ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : إنهم ليعدونهم الباطل .

---

(١) أنشده سيبويه ٣/ ٤٥ ، ونسبه إلى الأعشى . وفي الحاشية : لم يرد في ديوانه ، وروي أيضاً للحطيئة ، أو ربيعة بن جشم ، أو دثار بن شيبان النمري . وقبله :

تقولُ خليلَتِي لَمَّا اشتكَيْنَا سيُدركُنَا بنو القرمِ الهجانِ

وأنشده الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣١٤ من دون نسبة ، وأنشده الثعلبي ٨/ ١٥٧أ عن الفرَّاء . واستشهد به في الإنصاف ٢/ ٥٣١ على إعمال حرف الجزم مع الحذف ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : محل الاستشهاد من البيت قوله : وأدع ، فإن المؤلف أنشده على لسان الكوفيين على أن الشاعر أراد : ولأدع ، بلام الأمر ، وبجزم الفعل المضارع بحذف الواو ، والضمة قبلها دليل عليها .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦١ .

(٣) أراد المبرِّد بقوله : الأمر المواجهة : صيغة الأمر الصريحة الأصلية التي يلزم منها حضور المأمور الموجَّه إليه الخطاب ، كقولك : قم يا زيد ، فإن كان الأمر بغيرها كالأمر بالمضارع لزم دخول اللام الدالة على الأمر كقولك : ليقم زيد ، والله أعلم .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٢ بنصه .

١٣. ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ . قال مقاتل : أوزارهم التي عملوها ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وأوزارهم لقولهم للمؤمنين : ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾[١] ، وهذا كقوله : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل :٢٥] ، قاله مقاتل وابن عباس ومجاهد[٢] .

قال قتادة في هذه الآية : من دعا قوماً إلى ضلالة فعليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[٣] ، وهو معنى قوله ﷺ : «ومن سن سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٤] .

وقوله : ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ . قال أبو إسحاق : ذلك سؤال توبيخ لا سؤال إعلام[٥] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧١ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٥ عن ابن زيد ، وفيه ذكر آية النحل . وذكره مقاتل ٧١ب من دون ذكر آية النحل .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٠ ، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٧ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم ٢/ ٧٠٤ ، كتاب : الزكاة ، رقم الحديث ١٠١٧ ، وله قصة ذكرها جرير بن عبدالله رضي الله عنه ، قال : كنَّا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار ، قال : فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء ، متقلدي السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ، ثم خطب فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء :١] . والآية التي في الحشر : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر :١٨] . تصدَّق رجل من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بُرِّه من صاع تمره حتى قال : ولو بشق تمرة ، قال : فجاء رجل من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهَبة ، فقال رسول الله ﷺ : «من سن في الإسلام سُنَّة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سُنَّة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» . وأخرجه مختصراً الترمذي ٥/ ٤٢ ، كتاب : العلم ، رقم ٢٦٧٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه بسنده الثعلبي ٨/ ١٥٧ب من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٢ .

وقوله : ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يقولون على الله الكذب[١] .

وقال مقاتل : يعني قولهم : نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله[٢] .

١٤. قال ابن عباس : ثم عزَّى نبيه فأخبره بما ابتلي به النبيون من قبله من قومهم ، فقال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ يريد : أقام فيهم يدعوهم إلى الله ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ . روى يوسف بن مهران عن ابن عباس ، قال : بُعث نوح لأربعين سنة ، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وعاش بعد الغرق ستين عاماً ، حتى كثر الناس وفشوا[٣] .

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ . قال مقاتل : يعني الماء طغى فوق كل شيء فغرقوا[٤] . ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ . قال ابن عباس : مشركون[٥] . وذكرنا الطوفان في ما تقدَّم[٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٠ .

(٢) تفسير مقاتل ٧١ب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤١ من طريق يوسف بن مهران ، وذكره الثعلبي ١٥٧ب ، وأخرجه من هذا الطريق الحاكم ٢/ ٥٩٥ ، كتاب : تواريخ المتقدمين ، رقم ٤٠٠٥ ، ولم يتكلم عنه الحاكم ، وسكت عنه الذهبي .

(٤) تفسير مقاتل ٧١ ب . وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ١٠٠ ، وابن جرير ٢٠/ ١٣٦ عن قتادة . وقال ابن قتيبة : المطر الشديد . غريب القرآن ٣٣٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٣ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف :١٣٣] ؛ إذ تكلم الواحدي على معنى الطوفان ، والمراد به في الآية في أربع صفحات ، ومما ذكره قول الزَّجَّاج : الطوفان من كل شيء ما كان كثيراً محيطاً مطيفاً بالجماعة كلها كالغرق الذي يشمل المدن الكثيرة ، يقال له : طوفان .

١٥. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ : يعني نوحاً من الغرق[١] . ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ : يعني الذين ركبوها معه . ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد تركت السفينة آية لمن بعد نوح[٢] .

وقال مقاتل والكلبي : يعني عبرة لمن بعدهم من الناس[٣] ، إن عصوا رسلهم فعلنا بهم مثل ذلك[٤] .

١٦. ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ . قال الزَّجَّاج : المعنى : وأرسلنا إبراهيم ، عطفاً على نوح[٥] .

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ . قال ابن عباس : أطيعوا الله وخافوه ، وقال مقاتل : وحدوا الله واخشوه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني : عبادة الله خير لكم من عبادة الأوثان ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، ولكنكم لا تعلمون[٦] ، وقال الكلبي : إن كنتم تعلمون أن الله ربكم[٧] .

١٧. وقوله : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ . قال أبو عبيدة : الأوثان : كل ما كان منحوتاً من خشب أو حجر ، والصنم : ما كان من ذهب أو فضة أو نحاس[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧١ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٣ عن قتادة بنحوه .

(٣) تفسير مقاتل ٧١ ب ، تنوير المقباس ٣٣٣ .

(٤) قال ابن جرير ٢٠/ ١٣٦ : ولو قيل : معنى ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ : وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين ، وجعل الهاء والألف في قوله : ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ كناية عن العقوبة أو السخط ونحو ذلك ؛ إذ كان تقدَّم ذلك في قوله : ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ كان وجهاً من التأويل .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٤ .

(٦) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٧) تنوير المقباس : ٣٣٣ .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٤ بلفظ : (الوثن) : ما كان من حجارة أو جص . وليس فيه ما يتعلق =

وهذا كما قال ابن عباس : يريد الأصنام التي تتخذ من الحجارة[١] . قوله : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ . قال أبو عبيدة : خلق واختلق ، وخرق واخترق وافترى ، واحد كله[٢] . وفي هذا قولان للمفسرين ؛ أحدهما أن هذا محمول على الكذب في القول ، وهو قول السدِّي ، قال : تقولون إفكاً[٣] ، يعني : زعمهم أنها آلهة . وروي عن ابن عباس : تقولون كذباً[٤] .

القول الثاني : إن هذا محمول على الصنع باليد . قال مجاهد : وتصنعون أصناماً بأيديكم فتسمونها آلهة[٥] . ويكون التقدير على هذا : وتخلقون ما تأفكون عنه بزعمكم أنه إله ، والخلق يكون بمعنى : التقدير[٦] ، وقد ذكرناه[٧] .

= بالصنم ، وما ذكره أبو عبيدة في المجاز ذكره ابن قتيبة بنصه في غريب القرآن ٣٣٧ ، ولم ينسبه . وقد تتبعت الآيات التي وردت فيها كلمة : أصنام ، فلم أجد أبا عبيدة تكلم عن هذه المسألة في كتابه المجاز . وقريب مما ذكر الواحدي عن الأزهري ، قال : وقال شمِر في ما قرأت بخطه : أصل الأمثال عند العرب : كل تمثال من خشب ، أو حجارة ، أو ذهب ، أو فضة ، أو نحاس ، ونحوها . تهذيب اللغة (وثن) ١٥/ ١٤٤ .

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٣ عن قتادة بلفظ : (أصناماً) .

(٢) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٤ : مجازه : تختلقون وتفترون . ولم أجده عند الأزهري ، مادة : خلق .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٤ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٧ ، وهو قول ابن قتيبة ، قال : تخرصون كذباً . تأويل مشكل القرآن ٥٠٦ ، وفي غريب القرآن ٣٣٧ ، قال : تختلقون كذباً .

(٥) ذكره الثعلبي ٨/ ١٥٧ ب بنصه عن مجاهد ، وأخرج نحوه ابن جرير ٢٠/ ١٣٧ عن ابن عباس من طريق عطاء . ولم أجد فيه القول الذي نسبه إلى مجاهد ، لكن أخرج ابن جرير ٢٠/ ١٣٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٤ عنه : تقولون كذباً .

(٦) وبهذا المعنى فسرَّ الآية ابن الأنباري ، فقال : والخلق : التقدير ، قال الله جل اسمه : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ ؛ أي تقدرون كذباً . الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٨٨ ، والأضداد ١٥٩ .

(٧) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون :١٤] : أي المصورين المقدرين ، والخلق في اللغة : التقدير ، والعرب تقول : قدرت الأديم وخلقته ، إذا قِسته لتقطع منه مزادة ، أو قربة ، أو خفاً .

وقال الكلبي : جعلتم بأيديكم من العيدان والحجارة إفكاً[١] .

وقال قتادة : تصنعون أصناماً وتنحتونها[٢] .

وقال الحسن : وتنحتون إفكاً[٣] .

وقال مقاتل : تعملونها بأيديكم ، ثم تزعمون أنها آلهة كذباً[٤] .

قال أبو إسحاق : ويكون التأويل على هذا القول : إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وأنتم تصنعونها[٥] .

١٩. وقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ : يعني الكفار . قال مقاتل : ألم تعلم كفار مكة[٦] .

ومن قرأ بالتاء فهو خطاب لهم ، ويدل عليه ما تقدَّم من الخطاب[٧] . وقوله : ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ . قال ابن عباس : عند الميلاد . قال مقاتل : خلق الإنسان من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، فذكر اختلاف أحوال الخلق[٨] .

---

(١) تنوير المقباس :٣٣٣ بمعناه .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٤ عن ابن عباس وقتادة .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٦ .

(٤) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٥ .

(٦) تفسير مقاتل ٧٢أ .

(٧) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء ، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء . انظر السبعة في القراءات ٤٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها :٢/ ١٨٢ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٤٣ .

(٨) تفسير مقاتل ٧٢أ ، ويعني بقوله : فذكر اختلاف الخلق ، أن مقاتل ذكر بقية الأطوار التي يمر بها الإنسان في حياته ، قال : . . . ثم من مضغة ، ثم عظاماً ، ثم لحماً ، ولم يكونوا شيئاً ، ثم هلكوا ، ثم يعيدهم الله في الآخرة .

وقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ . قالا : يعني في الآخرة عند البعث[١] .

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد الخلق الأول ، والخلق الآخر[٢] .

٢٠. قوله : ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : هل تجدون في ما تبحثون من البلاد وتسيرون خالقاً غيري ، والمعنى على هذا سيروا لتعلموا أن الذي بدأ الخلق هو الله لا خالق غيره ، فإذا أقروا بابتداء الخلق وعلموا أن ذلك من الله ، لزمتهم الحجة في الإعادة .

وقال مقاتل : ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ يعني خلق السموات والأرض وما فيهما من الخلق[٣] ، والمعنى على هذا أنهم إذا ساروا رأوا من مخلوقات الله ومصنوعاته ما يدلهم على قدرته ، فيستدلون بذلك على أن مَنْ بدأ خلقها قادر على الإعادة بعد الإهلاك .

قال مقاتل : وذلك لأنهم يعلمون أن الله خلق الأشياء كلها[٤] .

---

(١) يعني بـ : قالا : ابن عباس ، ومقاتل ، لتقدُّم ذكرهما . وقول مقاتل في تفسيره ٧٢أ . وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣٩ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٥ عن قتادة ، ولم أجده لابن عباس إلا في تنوير المقباس :٣٣٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٥ بلفظ : (يعني : هينا) .

(٣) تفسير مقاتل ٧٢أ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٢أ .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ ؛ أي ثم الله الذي خلقها وبدأ خلقها يُنشئها نشأة ثانية[١] . وأكثر القُرَّاء : ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ بالقصر ، وقرأ أبو عمرو بالمد[٢] ، والأحسن القصر ، يقال : نَشَأَ ينشأ نَشئاً ونشأةً ، ولم يذكر أبو زيد وأبو عبيدة المد[٣] ، وذكره الفرَّاء ، فقال : هو كما تقول العرب : الرأْفة والرآفة ، والكأْبة والكآبة ، كلٌّ صواب[٤] .

٢٢. وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ : اختلفوا في تقدير الآية على وجهين ، فقال الفرَّاء : يقول القائل : كيف وَصَفهم بأنهم لا يُعجزون في الأرض ولا في السماء ، وليسوا من أهل السماء ؟ فالمعنى والله أعلم : ما أنتم[٥] بمعجزين في الأرض ، ولا مَنْ في السماء بمعجز ، وهو من غامض العربية ؛ للضمير الذي لم يظهر في الثاني ، ومنه قول حسان :

أمَنْ يهجو رسولَ اللهِ منكُمْ ويمدحُهُ وينصرُه سواءُ[٦]

أراد : ومن يمدحه ومن ينصرهُ فأضمر .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٢أ بمعناه .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : (النَّشَاءَةَ) ممدودة في كل القرآن ، وقرأ الباقون بالقصر . انظر السبعة في القراءات ٤٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها :٢/ ١٨٣ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٤٣ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٧ بتصرف .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٥ .

(٥) (أنتم) غير موجودة في نسخة (أ) و(ب) .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٥ ، ونسب البيت إلى حسان ، وعن الفرَّاء أنشده ابن جرير ٢٠/ ١٤٠ ، وهو في ديوانه ٩ من قصيدة له في مدح النبي ﷺ قبل فتح مكة بلفظ : (فمن يهجو) .

ومثله في الكلام : أكرم من أتاك ، وأتى أباك ، يعني : وأكرم مَنْ أتى أباك[١] . وهذا موافق لتفسير ابن عباس والكلبي . قال ابن عباس : يريد : لا يُعجزني أحدٌ من أهل الأرض ، ولا من أهل السماء[٢] ، وقال الكلبي : يقول : وما أنتم بسابقي في الأرض هرباً ، ولا أحدٌ من أهل السماء سابقي[٣] ، وهذا وجه .

والوجه الثاني : قال قطرب : معناه : ولا في السماء لو كنتم فيها ، كقوله : ما يفوتني فلان بالبصرة ، ولا هاهنا في بلدي ، يعني : ولا بالبصرة لو صار إليها[٤] . وهذا الوجه موافق لتفسير مقاتل ؛ فإنه يقول في معنى الآية : وما أنتم يا كفارُ سابقي الله فتفوتونه ، في الأرض كنتم ، أو في السماء كنتم ، أينما تكونوا حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة[٥] .

وذكر أبو إسحاق القولين موجزاً ، فقال : معناه : ما أنتم بمعجزين في الأرض ، ولا أهل السماء بمعجزين . ويجوز : وما أنتم بمعجزين في الأرض ، لا ولو كنتم في السماء ؛ أي لا ملجأ من الله إلا إليه[٦] . ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منِّي ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابي ، قاله ابن عباس[٧] .

٢٣ . ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ : بالقرآن والبعث بعد الموت . ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ : يعني من جنتي ، قاله ابن عباس والكلبي

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٥ ، ونحوه عند ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢١٧ ، وغريب القرآن ٣٣٨ .
(٢) أخرج نحوه ابن جرير ٢٠/ ١٣٩ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٧ عن ابن زيد .
(٣) تنوير المقباس : ٣٣٣ ، مثل قول ابن عباس .
(٤) ذكره عن قطرب ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٦٦ ، وهو قول الأخفش ، قال : أي لا تعجزوننا هرباً في الأرض ولا في السماء . معاني القرآن ٢/ ٦٥٦ .
(٥) تفسير مقاتل ٧٢أ .
(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٥ .
(٧) تنوير المقباس ٣٣٤ بنحوه .

ومقاتل[١] . وهذه الآيات معترضة في قصة إبراهيم ؛ تذكيراً لأهل مكة وتحذيراً ، ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم[٢] ، وهو قوله :

٢٤. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ : يعني حين دعاهم إلى الله ، ونهاهم عن عبادة الأصنام[٣] ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ ، وهذا تسفيه لرأيهم ، وتجهيل لأحلامهم حين أجابوا مَنْ احتج عليهم بأن يُقتل أو يُحرق[٤] .

قوله تعالى : ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ . قال ابن عباس : يريد : ففعلوا فأنجاه الله[٥] . ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي في إنجاء الله إبراهيم من النار حتى لا تحرقه بعد ما ألقي فيها ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بتوحيد الله وقدرته[٦] .

٢٥. ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم لقومه : ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ : اختلف القُرَّاء في هذه الآية ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي : (مَّوَدَّةُ) بالرفع ﴿بَيْنِكُمْ﴾[٧] ، ولهذه القراءة ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يجعل ما اسم إن ، ويضمر ذكرٌ ما يعود إلى ما ، فيكون التقدير : إن الذين اتخذتموهم من دون الله ﴿أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ فتصير (مَّوَدَّةُ) خبر إن ، وتجعل المودة : ما اتخذوا على الاتساع ؛ لأنها كانت سبب مودتهم ، أو يقدر المضاف على تقدير : إن الذين اتخذتموهم أوثاناً ذوو مودةِ بينكم .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٢أ ، وتنوير المقباس ٣٣٤ .
(٢) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٤٠ بمعناه .
(٣) تفسير مقاتل ٧٢أ .
(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٦ بمعناه .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٨ بمعناه .
(٦) تفسير مقاتل ٧٢أ .
(٧) السبعة في القراءات ٤٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٤٣ .

الوجه الثاني : أن يضمر هو ، ويجعل (مَّوَدَّةُ بَيْنِكُمْ) خبراً عنه ، والجملة في خبر إن . هذا قول أبي علي[١] ، وذكر الزَّجَّاج هذين الوجهين ، فقال : من رفع (مَّوَدَّةُ) فمن وجهين ؛ أحدهما : أن تكون (مَا) في معنى الذي ، ويكون المعنى : إن ما اتخذتموه من دون الله أوثاناً مودةُ بينكم ، فتكون (مَّوَدَّةُ) خبر إن ، قال : ويجوز أن ترفع (مَّوَدَّةُ) على إضمار هي ، كأنه قال : تلك مودةُ بينكم في الحياة الدنيا ؛ أي أُلْفَتُكم واجتماعكم على الأصنام مودةُ بينكم في الحياة الدنيا[٢] .

الوجه الثالث : ذكره الفرَّاء ، فقال : من رفع ، فإنما يرفع بالصفة بقوله : ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ، وينقطع الكلام عند قوله : (أَوْثَاناً)[٣] . وعلى هذا (مَّوَدَّةُ) رُفع بالابتداء ، وخبره (في) الظرف ، والمعنى : إنما مودةُ ما بينكم في الحياة الدنيا ثم تنقطع[٤] .

قال أبو علي : وإضافة المودة إلى بينكم اتساع في الظرف ؛ لأنه جعل اسماً بالإضافة إليه ، ومثل ذلك قراءة من قرأ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام :٩٤][٥] . قال الشاعر :

صلاءةُ وَرْسٍ وسطُها قدْ تفلَّقا[٦]

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٨ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٧ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٦ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٦ ، من قوله : إنما مودة بينكم .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٩ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ رفعاً ، وقرأ نافع والكسائي : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ نصباً . انظر السبعة في القراءات ٢٦٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ١٦٤ ، والنشر في القراءات العشر : ٢/ ٢٦٠ .

(٦) أنشده أبو علي من دون نسبة في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٩ ، وأنشده كاملاً ، ونسبه إلى الفرزدق أبو زيد في النوادر ١٦٣ ، وابن جني في الخصائص ٢/ ٣٦٩ ، وصدره :

أتتْهُ بمجلومٍ كأنَّ جبينَهُ

وفي حاشية الخصائص : المجلوم : المحلوق ، أراد به هن المرأة ، والصلاءة : مدق الطبيب ، والورس : =

وقرأ عاصم في بعض الروايات : (مَّوَدَّةٌ) بالرفع والتنوين (بَيْنَكُمْ) نصباً[١] . ووجه هذه القراءة : الوجهان[٢] ذكرهما الزَّجَّاج وأبو علي في القراءة الأولى ، و(بَيْنَكُمْ) منصوب على الظرف ، والعامل فيه المودة[٣] .

وقرأ حمزة : (مَّوَدَّةَ) نصباً من غير تنوين (بَيْنِكُمْ) خفضاً[٤] ، جعل (مَا) مع (إن) كافة ، ولم يجعلها بمعنى الذي ، ونصب (مَّوَدَّةَ) على أنه مفعول له ؛ أي اتخذتم الأوثان للمودة ، ثم أضافها إلى (بَيْنِكُمْ) كما أضاف مَنْ رفع[٥] .

وقرأ نافع وابن عامر : (مَّوَدَّةً) بالنصب والتنوين (بَيْنَكُمْ) بالنصب[٦] ، وهذه القراءة كقراءة حمزة في المعنى ، إلا إنه لم يُضف المودة إلى (بَيْنَكُمْ) ، فلمَّا لم يضف نوَّن ، وانتصب (بَيْنَكُمْ) على الظرف[٧] .

= نبت أصفر . وعند أبي زيد : بمحلوم ، وصلاية . والشاهد فيه : إخراج : وسط ، عن الظرفية . قال البغدادي في الخزانة ٣/ ٩٢ : فوسطها مرفوع على أنه مبتدأ ، وجملة : قد تفلق خبره . لم أجده في ديوان الفرزدق .

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر : ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ ، ورواية الأعشى عن أبي بكر : ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ . انظر السبعة في القراءات ٤٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٨٤ .

(٢) لعل بعد هذه الكلمة سقطت كلمة (اللذان) ؛ ليستقيم الكلام بها .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٨ .

(٤) قرأ بها حمزة وعاصم في رواية حفص . انظر السبعة في القراءات ٤٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٨٤ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٩ .

(٦) السبعة في القراءات ٤٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٨٤ .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٩ .

قال المفسرون : يقول إنكم جعلتم الأوثان تتحابون على عبادتها ، وتتواصلون عليها في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾[١] ، وقال مقاتل : بين الأتباع والقادة مودةٌ على عبادة الأصنام ، ثم إذا كان ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ ويلعن الأتباع القادة ؛ لأنهم زينوا لهم الكفر ، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ ومصيركم جميعاً ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ من مانعين من النار[٢] .

٢٦. قوله : ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : فصدق بإبراهيم لوطٌ ، وهو ابن أخيه ، وهو أول من آمن به ، رأى أن النار لم تضرَّه[٣] . ومعنى ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ ؛ أي لأجله ، ولأجل ما أتى به من البرهان والحجة . ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم[٤] ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ . قال قتادة وابن عباس ومقاتل : هاجر من كُوْثَى إلى الشام[٥] ، وقال الكلبي : هاجر من أرض حرَّان إلى فلسطين ، هجر قومه المشركين ، وخرج من بينهم ، وهو أول من هاجر الكفر وأهله وأرضه[٦] .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٨ب .

(٢) تفسير مقاتل ٧٢ب .

(٣) تفسير مقاتل ٧٢ب ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٨ب ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٢ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٠ عن ابن عباس بلفظ : (صدق لوطٌ) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٠ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٣ عن الضحاك . وتفسير مقاتل ٧٢ ب ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٦ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٨ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٢ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٠ عن قتادة ، وزاد ابن أبي حاتم : من كوثى ، وهي من سواء الكوفة . وتفسير مقاتل ٧٢ب . كوثى : قرية في العراق ، في أرض بابل . وتطلق ويراد بها مكة ؛ وذلك أن منزل بني عبد الدار يقال له : كوثى . تهذيب اللغة (كوث) ١٠/ ٣٤٠ ، معجم البلدان : ٤/ ٥٥٣ ، وهي معروفة الآن بالاسم نفسه شمال بغداد بنحو ١٠٠كم .

(٦) تنوير المقباس :٣٣٤ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٣ عن ابن جريج ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٥٨ب من دون نسبة ، وهو قول الفرَّاء : من حرَّان إلى فلسطين . معاني القرآن ٢/ ٣١٦ ، حرَّان : مدينة عظيمة مشهورة ، وهي على طريق الموصل والشام . معجم البلدان :٢/ ٢٧١ ، وهي في أقصى شمال شرق سورية حالياً .

قال مقاتل : قوله : ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يعني : إلى رضى ربي[١] ، والمعنى : إلى حيث أمرني ربي .

٢٧ . ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ . قال ابن عباس : من بعد إسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من بعد إسحاق[٢] ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ؛ وذلك أن الله -عز وجل- لم يبعث نبيّاً من بعدِ إبراهيم إلا من صُلبه .

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ . قال : يريد أن أهل الأديان كلهم ينتحلون حُبه[٣] ، ويتولونه ، وهذا قول قتادة ومقاتل . قال قتادة : وليس من أهل دين إلا وهم يتولونه[٤] .

وقال مقاتل : يعني الثناء الحسن ، والقالة الحسنة من أهل الأديان كلها[٥] .

وقال الكلبي : هو ما أُعطي من الولد الطيب ، والثناء الحسن[٦] .

وقال السدِّي : أُري مكانَه في الجنة[٧] .

وقال الحسن : أجرُه في الدنيا : نيته الصالحة التي اكتسب بها الأجر في الآخرة[٨] ، وعلى هذا يكون التقدير : وآتيناه سبب أجره .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٢ب .
(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٣ .
(٣) أي يدَّعون حُبه . تهذيب اللغة (نحل) ٥/ ٦٥ .
(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٦ ، وابن جرير ٢٠/ ١٤٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٢ .
(٥) تفسير مقاتل ٧٢ب . وذكر نحوه الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣١٦ .
(٦) تنوير المقباس ٣٣٤ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٤ عن ابن عباس ، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٨ ، ولم ينسبه .
(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٦٨ عن السدِّي .
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٣ .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ : هذه الآية كالآية في آخر (سورة النحل) ، في ذكر إبراهيم : ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[١] .

قال ابن عباس : يريد : مِثلَ : آدم ونوح[٢] ، يعني أنه في درجتهما ؛ لأن الله تعالى استخرج[٣] الذرية الطيبة كما استخرج منهما .

قال صاحب النظم : لَمَّا قال : ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لم يُؤمَن أن يقال : إنه قد أخذ أجره في الدنيا ، ولا خلاق له في الآخرة ، فأعلم -عز وجل- أن له مع ما أُعطي في الدنيا الدرجاتِ العلى بقوله : ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ اقتصاصاً من قوله : ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه :٧٥] .

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَلُوطًا﴾ . قال مقاتل : وأرسلنا لوطاً[٤] . والآية مُفسَّرة في سورة الأعراف[٥] .

---

(١) قال مقاتل عند هذه الآية : نظيرها في النحل . تفسير مقاتل ٧٢ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٣ عنه بلفظ : (الصالحين : الأنبياء والمؤمنين) .

(٣) هكذا في نسخة (أ) و(ب) . ولو زيدت : منه ، لكان أوضح ، فيكون الكلام : لأن الله تعالى استخرج منه الذرية الطيبة .

(٤) تفسير مقاتل ٧٢ب .

(٥) الآية رقم : ٨٠ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . قال الواحدي : قوله تعالى : ﴿وَلُوطًا﴾ ذكر الفرَّاء في كتاب المصادر اشتقاق هذا الاسم ، وأنكر عليه أبو إسحاق ، وقال : الاسم الأعجمي لا يقال : إنه مشتق كإسحاق ، لا يقال : إنه مشتق من السحق ، وكتاب الله تعالى لا ينبغي أن يُقدم على تأويله إلا برواية صحيحة ، أو حجة واضحة . وقال النحويون : إنما صرف لوط فالحقيقة أنه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط . وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ يعني : إتيان الذكران في قول جميع المفسرين . ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قالوا : ما نزل ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط . قال الزَّجَّاج : وفي هذه الآية دليل على أن فاحشة اللواط لم يفعلها أحد قبل قوم لوط .

٢٩. وقوله: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾. قال ابن عباس: يريد: الطريق على المارِّ[١].

وقال مقاتل: وذلك أنهم يرمون ابن السبيل الحجارةَ بالخذف[٢] فيقطعون سبيل المسافرين[٣].

قال ابن زيد في ذلك: إنهم كانوا يفعلون ذلك لمن مرَّ بهم من المسافرين، ومن ورد عليهم من الغرباء[٤].

قال ابن عباس: فلمَّا فعلوا المنكر تـرك الناس المرَّ بهم، روي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «أن قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة[٥] فيها حصى، فإذا مرَّ بهم عابر سبيل خذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به»[٦].

---

(١) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٦٨.

(٢) الخذف (بالخاء المعجمة): الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع، يقال: خذفه بالحصى خذفاً. والحذف (بالحاء المهملة): الرمي عن جانب، تقول العرب: حذفه بالعصا، إذا رماه بها. تهذيب اللغة (حذف) ٤/ ٤٦٨ بالحاء المهملة.

(٣) تفسير مقاتل ٧٢ ب. وأخرج أن المراد به الخذف، ابن جرير ٢٠/ ١٤٥ عن عكرمة والسدِّي.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٥، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٤.

(٥) القَصْعَة: وعاء يؤكل فيه ويثرد، وكان يتخذ من الخشب غالباً، يشبع العشرة، والجمع: قِصاع، وقِصَعٌ. لسان العرب (قصع) ٨/ ٢٧٤، والمعجم الوسيط ٢/ ٧٤٠.

(٦) أخرجه الثعلبي ٨/ ١٥٨ب من طريق زياد بن أبي زياد يحدث عن معاوية يرفعه. وزياد بن أبي زياد الجصَّاص أبو محمد الواسطي، من الطبقة الصغرى من التابعين الذين رأوا الواحد والاثنين من الصحابة، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة. تقريب التهذيب، المقدمة ٨٢، وترجمة زياد في: ٣٤٥، ثم قال عنه ابن حجر: ضعيف، وترجم له ابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٤٥، وصدَّر ترجمته بقوله: متروك الحديث، ولذا صدَّره البغوي في تفسيره ٦/ ٢٤٠، بـ: يُروى.

وقال الفـرَّاء في قوله : ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ : قطعه أنهـم كانوا يعترضون الناس من الطرق لعملهم الخبيث[١] ، وحكى الزَّجَّاج قولاً آخر ، فقال : جاء في التفسير : وتقطعون سبيل الولد[٢] .

قوله تعـالى : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ : النـادي : المجلس[٣] ، ذكرنا تفسيره عند قوله : ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم :٧٣][٤] . قال ابن عباس : استمكنت الفاحشة فيهم حتى فعل بعضهم ببعض في المجالس[٥] .

وقال مجاهد : المنكر : إتيانهم الرجال[٦] .

وقال القاسم بن محمد : هو الضراط ، كانوا يتضارطون في مجالسهم[٧] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٦ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٨ ، وذكره الفرَّاء ٢/ ٣١٦ ، ولم ينسباه .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٦ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ ، ولم ينسباه .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : الندي : فعيل بمعنى الفاعل ، وهو المجلس ، وكذلك النادي ، يقال : ندوت القوم أندوهم نَدْواً إذا جمعتهم ، ويقال للموضع الذي يجتمعون فيه : النادي ، والنادي لا يسمى ناديـاً حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا لا يكون نادياً ، ومن هذا قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت :٢٩] ، ولذلك سُمِّيت دار الندوة بمكة ، كانوا إذا حزبهم أمر نَدَوا إليها فاجتمعوا للتشاور .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٤ بلفظ : ﴿فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ يقول : في مجالسكم .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٥ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٥٩أ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٥ ، والثعلبي ٨/ ١٥٩أ عن القاسم بن محمد ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٤ عن عائشة ـرضي الله عنهاـ من طريق عروة بن الزبير .

وروي أن أم هانئ سألت رسول الله ﷺ عن المنكر الذي كانوا يأتونه في ناديهم ، فقال : «كانوا يخذفون أهل الطرق ، ويسخرون بهم ، فذلك المنكر»[١] .

وهو قول مقاتل في تفسير المنكر ، يعني : الخذف بالحجارة[٢] .

قال ابن قتيبة : المنكر : مَجمعُ الفواحش من القول والفعل[٣] .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله -عز وجل- أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكر ، ولا يجتمعوا إلَّا في ما قرَّب إلى الله عز وجل ، وباعد من سخطه ، وأن لا يجتمعوا على الهزء والتلهي[٤] . فلمَّا أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من القبائح قالوا له استهزاءً : ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نازل بنا[٥] ؛ وذلك أنه توعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ، فعند ذلك :

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٥ من ثلاثة طرق عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، أنها سألت رسول الله ﷺ ، عن هذه الآية ، فقال : «كانوا يخذفون أهل الطريق ويسخرون منهم» . وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٤ من الطريق نفسه . وأخرجه من الطريق نفسه الثعلبي ٨/ ١٥٨ب ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٤ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٣٧ من طريق سماك بن حرب ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه من هذا الطريق الترمذي ٥/ ٣١٩ ، في التفسير ، رقم ٣١٩٠ ، وقال : حديث حسن ، إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك . وقال الألباني : ضعيف الإسناد جداً . ضعيف سنن الترمذي ٤٠١ ، ولم يُحل على شيء من كتبه . ولعل علَّته سماك بن حرب ، فقد قال عنه ابن حجر : صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير في آخر حياته ، فكان ربما تلقن . تقريب التهذيب ٤١٥ ، رقم ٢٦٣٩ ، وأبو صالح الراوي عن أم هانئ ، اسمه : باذام ، ضعيف يرسل . تقريب التهذيب ١٦٣ ، رقم ٦٣٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٢ب .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٨ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٢ب ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩أ .

٣٠. ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ . قال مقاتل : أي بتحقيق قولي في العذاب فعذبهم[١] .

قوله تعالى : ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ : يعني العاصين بإتيان الرجال في أدبارهم ، قاله الكلبي ومقاتل[٢] . قال الكلبي : فاستجاب الله دعاءه فبعث جبريل في اثني عشر ملكاً فذلك قوله :

٣١. ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ . قال ابن عباس : بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب[٣] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعنون قرية لوط[٤] ، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ يعني : مشركين . وما بعد هذه الآية مُفسَّر في سورة هود[٥] إلى قوله : ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ .

٣٣. ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ : يعني بناتك . قال المبرِّد : الكاف في ﴿مُنَجُّوكَ﴾ مخفوضة ، فلم يجز أن يعطف الظاهر على المضمر المخفوض لعلَّة ذكرناها في قوله : ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء :١][٦] ، فحمل الثاني على المعنى فصار في التقدير : وننجي أهلك ومنجون أهلك ، وهذا

---

(١) تفسير مقاتل ٧٢ب .

(٢) تفسير مقاتل ٧٢ب . وفي تنوير المقباس :٣٣٤ : المشركين .

(٣) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٤٧ ، والثعلبي ٨/ ١٥٩أ ، ولم ينسباه .

(٤) تفسير مقاتل ٧٣أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩أ .

(٥) الآيات ٦٩-٨٠ .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قرأ حمزة : ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ بالعطف على المكنَّى في ﴿بِهِۦ﴾ ، كما يقال : سألتك بالله والرحمِ ، ونشدتك بالله والرحمِ ، وإنما حمله على هذه القراءة ما ورد في التفسير أن المشركين كانوا يقولون : نناشدك بالله والرحم ، ثم قال : وضعَّف النحويون كلهم هذه القراءة ، واستقبحوها . . . . ، وانظر باقي كلامه في الموضع المذكور .

جائز مستحسن[١] مستعمل كثيراً في كلامهم[٢] ، وأنشد سيبويه أبياتاً كثيرة ، منها قول لبيد :

فإنْ لَمْ تجدْ مِنْ دونِ عدنانَ والداً ودونَ مَعـــدٍ فَلْتَزَعكَ العواذلُ[٣]

وأنشد أيضاً لجرير :

جئني بـمـثلِ بَني بـدرٍ لقومهمِ أوْ مِثلَ أُسرةِ منْظورِ بنِ سـيَّارِ[٤]

ولو خفض مثلَ لكان جيداً بالغاً ، وهو الباب . والنصب على الموضع فكأنه قال : أو هاتِ مثلَ : أُسرةِ منظور .

---

(١) (مستحسن) غير موجودة في نسخة (ب) .

(٢) قال أبو حيان : والكاف في مذهب سيبويه في موضع جر ، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ منصوب على إضمار فعل ؛ أي وننجي أهلك . البحر المحيط ٧/ ١٤٦ ، قال المبرِّد : لَمَّا لم يجز أن تعطف الظاهر على المضمر المجرور حملته على الفعل ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ ، كأنه قال : ومنجون أهلك ، ولم تعطف على الكاف المجرورة . المقتضب ٤/ ١٥٢

(٣) أنشده سيبويه في الكتاب ١/ ٦٨ ، ونسبه إلى لبيد ، وقد استشهد به على العطف على الموضع ، فعطف : دون ، المنصوب ، على محل : دون ، المجرور بمن . حاشية المقتضب ٤/ ١٥٢ ، واستشهد به المبرِّد ، وصدَّره بقوله : ومما تنشده العرب نصباً ، وجراً ، لاشتمال المعنى عليهما جميعاً قول لبيد . المقتضب ٤/ ١٥٢ ، والبيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه ، يرثي بها النعمان بن المنذر ، ملك الحِيرة . انظر ديوانه ١٣١ ، والخزانة ٢/ ٢٥٢ ، والشعر والشعراء ١٧٥ .

(٤) أنشده سيبويه ١/ ٩٤ ، والمبرِّد في المقتضب ٤/ ١٥٣ ، ونسباه إلى جرير . ولفظه عند المبرِّد : (جيئوا) ، وهو في ديوان جرير ٢٤٢ ، والشاهد فيه العطف على المحل ، تقديره : أو هات مثل أسرة منظور .
والبيت لجرير يخاطب فيه الفرزدق ، مفتخراً عليه بسادات قيس ؛ لأنهم أخواله . وبنو بدر من فزارة ، ومنظور بن سيار بن عمرو من فزارة أيضاً . حاشية الكتاب ١/ ٩٤ ، وأورده ابن جني في المحتسب ٢/ ٧٨ ممثلاً به على ما نصب بإضمار فعل يدل عليه ما قبله .

٣٤. وقوله : ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ . قال ابن عباس : عذاباً[١] . قال مقاتل : يعني الخسف ، والحَصْب[٢] .

٣٥. وقوله : ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ : يعني آثار منازلهم الخَرِبة . وهو معنى قول ابن عباس[٣] ، يريد الأنهار التي كانت في قراهم ، والنخيل التي قَلَت[٤] فهي إلى اليوم لا ينتفع بشيء منها . وقال قتادة : هي الأحجار التي أبقاها الله[٥] ، فأدركها أوائل هذه الأمة . وقال مجاهد : هي الماء الأسود على وجه الأرض[٦] .

٣٦. وقوله : ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ . قال مقاتل : واخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال[٧] .

٣٨. وقوله : ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ : قيل : هو عطف على الكناية في ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾[٨] ، وقيل : هو عطف ، معناه : وفتَّنا عاداً ، رجوعاً إلى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٨ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤٨ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٨ عن قتادة .

(٢) تفسير مقاتل ٧٣أ . الحَصْبُ : رميك بالحصباء ، يقال : حَصَبْته أحْصِبُه حَصْباً : إذا رميته بالحصباء ، والحجر المرمي به : حَصَب . تهذيب اللغة (حصب) ٤/ ٢٦٠ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩أ منسوباً إلى ابن عباس .

(٤) القَلَت : الهلاك . تهذيب اللغة (قلت) ٩/ ٥٨ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٨ ، وابن جرير ٢٠/ ١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٨ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٥٩أ عن قتادة وأبي العالية .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩أ . ولعله يعني ما قيل من إن الأرض التي أهلكوا فيها ، مكانها الآن البحر الميت ، المسمى بأسماء متعددة ؛ نظراً إلى تميزه عن غيره من البحار بخواص لا توجد في غيره . انظر : مجلة القافلة ، رمضان ، ١٤١٩ .

(٧) تفسير مقاتل ٧٣أ .

(٨) وهو اختيار النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٥٦ .

قولـه : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[١] . وقال الزَّجَّـاج : وأهلكنا عاداً وثمود[٢] ، وهـو قول مقاتل[٣] ؛ وذلك أن الذين ذُكروا قبل هذا ذُكر إهلاكهم .

وقوله : ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ : يقول : ظهرَ لكم يا أهلَ مكة مِـنْ منازلهم بالحِجْر واليمن آيةٌ في إهلاكهم ، قالـه ابن عباس ومقاتل[٤] ، والمعنى : وقد تبيَّن لكم من مسـاكنهم ما يُخبركم به عن إهلاكهم ، فحُذف فاعل التبيين استغناءً بظهوره في المعنى .

قوله تعالى : ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أنهم كانوا ينتسبون إلى العقل والبصائر ، فلم ينتفعوا بذلك[٥] . واختاره الفرَّاء ، فقال : عقلاء ذوي بصائر[٦] .

وقال مقاتل : كانوا مسـتبصرين في دينهم يحسبون أنهم على هدى[٧] ، وهذا قول الكلبي ، قال : كانوا يرون أن أمرهم حق[٨] ، ونحوه قال الضحاك[٩] .

---

(١) ذكره النحاس عن الكسائي قال : قال بعضهم ، ولم يسمِّهم . إعراب القرآن ٣/ ٢٥٦ .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨٦ .
(٣) تفسير مقاتل ٧٣ب .
(٤) تفسير مقاتل ٧٣ب ، وتنوير المقباس :٣٣٥ .
(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٠ بلفظ : (كانوا مستبصرين في دينهم) .
(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٧ من دون قوله : عقلاء .
(٧) تفسير مقاتل ٧٣ب .
(٨) تنوير المقباس :٣٣٥ .
(٩) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩أ منسوباً إلى الكلبي والضحاك . وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٠ عن الضحاك .

وقال قتادة : كانوا مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها[١] ، وهو معنى قول مجاهد[٢] .

وقال أبو إسحاق : أَتوا ما أتوه وقد بيَّن لهم أن عاقبته العذاب[٣] . ومعنى المستبصر في اللغة : ذوي البصيرة ، يقال : استبصر في أمره ودينه ، إذا كان ذا بصيرة[٤] .

٤٠ . ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ ؛ أي عاقبنا[٥] بتكذيبه الرسل . ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ . قال ابن عباس : يريد قوم لوط[٦] ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يريد : عاداً وثمود ومدين[٧] ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني : قارون وأصحابه ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ : يريد قوم نوح وفرعون[٨] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٧ ، وابن جرير ٢٠/ ١٥٠ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩أ .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٠ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٩ .

(٤) تهذيب اللغة (بصر) ١٢/ ١٧٤ .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩ب .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥١ ، وتفسير مقاتل ٧٣ب ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩ب ، ولم ينسبه . وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ ، وفيه : (يعني : الحجارة ، وهي الحصباء أيضاً) .

(٧) تفسير مقاتل ٧٣ب . وهذا من الواحدي جمع بين الأقوال الواردة في المراد بمن أخذته الصيحة ؛ فقد أخرج ابن جرير ٢٠/ ١٥١ عن ابن عباس : ثمود ، وأخرج عن قتادة : قوم شعيب ، ثم جمع بين هذا بقوله : إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير هذا الموضع ، ثم قال -جل ثناؤه- لنبيه ﷺ : فمن الأمم التي أهلكناهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الأمم من دون بعض ، وكلتا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهما الصيحة .

(٨) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٢ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٧٣ب ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩ب .

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ . قال : يريد : أمهلهم وأنذرهم فكذبوا النذر .

وقال مقاتل : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب[١] .

٤١. ثم ضرب لهم مثلاً فقال : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ : يعني الأصنام يتخذونها أولياء يرجون نصرها ونفعها[٢] ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ . قال الليث : هي دويبة تنسج نسجاً رقيقاً مهلهلاً بين الهواء ، وعلى رأس البئر[٣] . ويجمع : العناكب . قال ذو الرمة :

هيَ اصطنَعَتْهُ وحدَها أوْ تعاونَتْ عَلَى نسجِهَا بينَ الصَّفيحِ عناكبُه[٤]

---

(١) تفسير مقاتل ٧٣ب .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٩ب .

(٣) كتاب العين (عنكب) ٢/ ٣٠٩ . ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٩ .
تعيش العناكب في أي مكان يتوافر فيه غذاؤها ، ويمكن مشاهدتها في الحقول ، والغابات ، والمستنقعات ، والكهوف ، والصحارى ، ويوجد نوع من العناكب يمضي معظم حياته تحت الماء ، ويعيش نوع آخر بالقرب من قمة جبل إيفرست (أعلى جبل على الكرة الأرضية) ، وتعيش بعض العناكب داخل المنازل ، ومخازن الحبوب ، والحظائر وغيرها ، ويوجد ما يقرب من ثلاثين ألف نوع من العناكب ، وقد تصل إلى مائة ألف نوع ، وحجم بعض العناكب أصغر من رأس الدبوس ، وبعضها كبير بحيث يصل إلى حجم كف يد الإنسان ، أو أكبر قليلاً ، فسبحان الله العظيم . انظر : مجلة القافلة ، صفر ، ١٤١٩هـ ، بقلم أحمد محمد الصغير .

(٤) كتاب العين (عنكب) ٢/ ٣٠٩ ، ونسب البيت إلى ذي الرمة ، ولفظه :
هيَ اصطنعتْهُ نحوَها وتعاونَتْ عــلى نسجِها بينَ المثابِ عناكبُه
ورواية الديوان ٢٩٩ :
هيَ انتسجتْهُ وحدَهَا أوْ تعاونَتْ عــلى نسجِهِ بينَ المثابِ عناكبُه
وفي شرح الديوان : المثاب : مقام الساقي حيث يضع رجليه . ولم أجد البيت في تهذيب اللغة .

وقال أيضاً يصف دلواً عتيقة العهد بالاستقاء :

فـجاءتْ بنَسْجِ العنكبوتِ كأَنَّهُ على عَصَوَيْها سَـــابريٌّ مُشَبْرَقُ[١]

ويجـوز في جمع العنكبـوت : عناكيب وعنكبوتـات ، ويصغـر : عُنَيْكباً ، وعُنَيْكيباً[٢] ، وأهل اليمن يقولون : عَنْكبوه بالهاء[٣] .

قال اللحياني : ويقال للعنكبوت : عَكَنْبَاة ، وأنشد :

كـأَنَّـمـا يـسـقـطُ مـنْ لُـغامِها بيتُ عَكَنْبَـــاةٍ عـــلى زِمامِها[٤]

قال الفرَّاء : العنكبوت أنثى ، وقد يذكِّرها بعض العرب ، وأنشد :

عـلى هَـطَّالهـم مـنـهـا بـيـوتٌ كأنَّ العنكبـــوتَ هُـــوَ ابتَنَاها[٥]

---

(١) ديوان ذي الرمة ١٧٨ . قال الخطيب التبريزي في شرحه : فجاءت : يعني الدلو ، كأنه : كأن النسيج ، على عصويها : يعني : العَرَاقي ، مشـبرق : مقطع مشـقق . اهـ . يقال للخشبتين اللتين تعرضان على الدلو كالصليب : العَرْقُوتان ؛ وهي العَرَاقي . تهذيب اللغة (عرق) ١/ ٢٢٧ ، والسابري من الثياب : الرقاق .والبيت في لسان العرب ٤/ ٣٤١ للدلالة على ذلك ، ونسبه إلى ذي الرمة .

(٢) تهذيب اللغة (عنكب) ٣/ ٣٠٩ .

(٣) تهذيـب اللغة (عنكب) ٣/ ٣٠٩ من كلام الليث . وفي كتـاب العين ٢/ ٣٠٩ : العنكبوت بلغة أهل اليمن : العنكبوه ، والعنكباه ، والجمع : العناكب .

(٤) لسـان العرب (عنكب) ١/ ٦٣٢ عن اللحياني ، وفيه إنشاد البيت من دون نسبة . لُغام البعير : زَبَده ، واللُّغام : زَبَد أفواه الإبل . لسـان العرب (لغم) ١٢/ ٥٤٥ ، والزِّمام : الحبل الذي تشـد به الإبل ، يقال : زممت البعير ؛ أي خطمته . لسان العرب (زمم) ١٢/ ٢٧٢ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٧ ، ولم ينسـب البيت . وفي الحاشـية : هطال : جبل ، ورواية البيت عند الفرَّاء ، والأزهري ٣/ ٣٠٩ ، ولسـان العرب ١/ ٦٣٢ : منهم . وفي النسـختين : منها . وعن الفرَّاء ذكره الثعلبي ٨/ ١٥٩ب ، ولم ينسباه .

قال الكلبي : بيت العنكبوت لا يغني عنها في حَرٍّ ولا قُرٍّ[١] ولا مطر ، كما أن آلهتهم لا ترزقهم شيئاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً[٢] .

وقال أبو إسحاق : إن بيت العنكبوت لا بيتَ أضعفُ منه في ما يتخذه الهوام ، ولا أقل وقاية من حَرٍّ أو بَرْدٍ ، والمعنى أن أولياءهم لا ينفعونهم ، ولا يرزقونهم ، ولا يدفعون عنهم ضرراً ، كما أن بيت العنكبوت غير موقٍ لها[٣] .

قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً ؛ ليس أنهم لا يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف[٤] .

٤٢ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ : قُرِئ : ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء[٥] ؛ فمن قرأ بالياء فلتقدم الغيبة في قوله : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ والتاء على : قل لهم : إن الله يعلم ما تدعون ، لا يكون إلا على هذا ؛ لأن المسلمين لا يخاطبون بذلك[٦] .

قال أبو علي : و(مَا) استفهام ، وموضعها نصب بـ(تَدْعُونَ) ، ولا يجوز أن يكون نصباً بـ(يَعْلَمُ) ، ولكن الجملة التي هي منها في موضع نصب بـ(يَعْلَمُ) ، والتقدير : إن الله يعلم أَوَثَناً تدعون من دونه أو غيره ؛ أي لا يخفى ذلك عليه فيؤاخذكم بكفركم ويعاقبكم عليه . ويدل على أن (مَا) استفهام : دخول (مِنْ) في الكلام ، وإنما

---

(١) القُرُّ : البرد . تهذيب اللغة (قرر) ٨/ ٢٧٦ ، وفي تنوير المقباس :٣٣٥ : (برد) .

(٢) تنوير المقباس :٣٣٥ ، وأخرج نحوه عبدالرزاق ٢/ ٩٧ عن قتادة .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٩ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٩ بمعناه .

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي : ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء ، وقرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم : ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء . انظر السبعة ٥٠١ ، والحجة ٥/ ٤٣٣ ، والنشر ٢/ ٣٤٣ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٤ بنصه .

هي تدخل في نحو قولك : هل من طعام ؟ وهل من رجل ؟ ولا تدخل في الإيجاب ، وهذا قول الخليل[١] ، وكذلك قوله : ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ [الأنعام :١٣٥] ، والمعنى : فستعلمون المسلم تكون له عاقبة الدار أم الكافر ، وكل ما كان من هذا ، فهكذا القول فيه ، وهو[٢] قياس قول الخليل[٣] .

قوله : ﴿مِن شَىْءٍ﴾ . قال مقاتل : يعني من الأصنام[٤] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع القادر ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه .

٤٣. قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ : يعني أمثال القرآن ، وهي التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمم المتقدمة يبيِّنها للناس ﴿نَضْرِبُهَا﴾ لكفار مكة ، قاله مقاتل[٥] ، وقال الكلبي : للناس عامة[٦] .

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ . قال مقاتل : يقول : وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله الأمثال[٧] .

وقال الكلبي : إلا عالم أراد الله له ذلك ، فيعلم ما ضرب له المثل في القرآن . وروى أبو الزبير عن جابر أَن النبي ﷺ تلا هذه الآية ، فقال : «العالِم من عَقَل عن الله»[٨] .

---

(١) الكتاب ٣/ ١٤٨ ، قال : فما هاهنا بمنزلة : أيهم .

(٢) (وهو) غير موجودة في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٣ب .

(٥) تفسير مقاتل ٧٣ب .

(٦) هذا القول أعم ، ويدخل فيه أهل مكة دخولاً أولياً .

(٧) تفسير مقاتل ٧٣ب .

(٨) قال الزيلعي : رواه داود بن المحبر في كتاب العقل ، حدَّثنا عباد بن كثير ، عن ابن جريج ، عن عطاء وأبي الزبير ، عن جابر بن عبدالله ، وعن داود بن المُحبَّر رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، ومن طريق الحارث رواه الثعلبي ، والواحدي في تفسيره . تخريج الزيلعي للكشاف ٣/ ٤٣ ، وأخرجه =

٤٤. قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: مضى تفسيره في سورة الأنعام(١)، وأوائل سورة يونس(٢).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي في خلقها. ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: لدلالة على قدرة الله تعالى وتوحيده.

٤٥. قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. قال ابن عباس: يعني القرآن(٣). ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يريد: وأتم الصلاة(٤)، ونحو ذلك قال مقاتل(٥).

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾: كان ابن مسعود يقول: إن نبي الله ﷺ كان يقول: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، ومن انتهى عن الفحشاء

= الثعلبي ٨/ ١٥٩ ب، والواحدي في الوسيط ٣/ ٤٢٠، كلاهما من طريق الحارث، عن داود المحبر به، ولفظه: «العاقل من عقل عن الله فعمل بطاعته، واجتنب سخطه». قال ابن حجر: داود بن المُحَبَّر، أبو سليمان البصري، نزيل بغداد، متروك، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه: موضوعات. تقريب التهذيب ٣٠٨، رقم ١٨٢٠، قال الدار قطني: كتاب العقل، وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه داود بن المُحَبَّر منه، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبدالعزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيد أُخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد أُخر. الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢٧٧، قال المناوي: كتاب العقل لداود كله موضوع. الفتح السماوي ٢/ ٨٩٧.

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ..﴾ [الأنعام: ٧٣]. قال الواحدي: أي بكمال قدرته، وشمول علمه، وإتقان صنعه، وكل ذلك حق، ثم أحال على تفسير سورة يونس.

(٢) في تفسير الآية الثالثة من سورة يونس ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. أحال الواحدي في تفسيرها على سورة الأعراف. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٥]، قال: قوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: يريد بالعدل لأنه هو الحق، وكل ما جاء من عنده هو الحق.....

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٥ عن الحسن.

(٤) في نسخة (أ) و(ب): (الصوم)، وهو خطأ. وقول ابن عباس في تنوير المقباس ٣٣٦.

(٥) تفسير مقاتل ٧٣ب.

والمنكر فقد أطاع الصلاة»[١] ، وقال ﷺ : «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً ، ولم يزدد من الله إلا مقتاً»[٢] .

وقال ابن عباس : يقول في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله ، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد إلا بُعداً[٣] . وهذا قول الحسن وقتادة ،

---

(١) أخرجه الثعلبي ٨/ ١٦٠ب من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن عبدالله بن مسعود يرفعه . وهذا إسناد ضعيف منقطع ؛ فالضحاك لم يسمع من ابن مسعود ، وجويبر ضعيف جداً .
وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود يرفعه بلفظ : «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر» .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٨ بإسناده عن معمر عمَّن سمع الحسن يحدِّث عن النبي ﷺ ، وهو بهذا حديث مرسل ، وفيه جهالة من روى عن الحسن ، ولفظه : (بعداً) . وأخرجه أيضاً بإسناده عن الثوري عن إسماعيل عن الحسن يرفعه باللفظين : (بعداً) ، و(مقتاً) ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٦ من طريق الحسن عن عمران بن حصين يرفعه بلفظ : «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له» ، وأخرجه أيضاً من طريق أبي معاوية ، عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس يرفعه . قال ابن كثير ٣/ ٤١٥ : والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود ، وابن عباس والحسن ، وقتادة ، والأعمش ، وغيرهم ، والله أعلم .
وذهب إلى هذا الألباني ؛ فقد قال بعد أن ساق روايات الحديث وطرقه : وجملة القول أن الحديث لا يصح إسناده إلى النبي ﷺ ، وإنما صح من قول ابن مسعود ، والحسن البصري ، وروي عن ابن عباس ، ولهذا لم يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه : الإيمان ، إلا موقوفاً على ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما . وقد نقد متن الحديث شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ لمخالفته لظاهر الآية ، قال : هذا الحديث ليس بثابت عن النبي ﷺ ، لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما ذكر الله في كتابه . وبكل حال فالصلاة لا تزيد صاحبها بُعداً ، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله منه وإن كان فاسقاً . ذكر هذا عن الشيخ الألباني ، ونسبه إلى مخطوطة اطَّلع عليها في المكتبة الظاهرية ، تحمل عنوان : فقه حنبلي ٣/ ١٢/ ١-٣ ، وقد تكلم عن نقد متن هذا الحديث باستفاضة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ١٥ ، حديث رقم : ٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٦ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠أ عن ابن عباس وابن مسعود .

قالا : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فليست صلاته بصلاة ، هي وبال عليه[١] .

ومعنى هذا التأويل أن الله تعالى أخبر أن الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فمن أقامها ثم لم ينتهِ عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله تعالى ، وإذا لم تكن بتلك الصفة لم تكن صلاة ، فإن تاب هذا المقيمُ الصلاةَ يوماً وترك معاصيه تبيَّن أن ذلك من نهي الصلاة ، وأن صلاته كانت نافعة له ناهية ، وإن لم ينتهِ إلا بعد زمان ، كما روي أن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ كان يصلي الخمس ، ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا رَكِبَه فوُصِف لرسول الله ﷺ حالُه ؛ فقال : «إن صلاته تنهاه يوماً ما» ، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ، فقال رسول الله ﷺ : «ألم أقل لكم : إن صلاته تنهاه»[٢] .

وروى السدِّي عن أصحابه في قوله : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ، قال : الرجل يصلي الصلاة فيحسنها ، ثم يهم أن يعمل الخطيئة فيذكر صلاته ، فيقول : لا أفسد صلاتي .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٩ ، وأخرجه عنهما ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ بنحوه .

(٢) ذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠أ بنصه عن أنس بن مالك يرفعه . قال عنه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ٤٦ : غريب . وأمَّا ابن حجر فقال : لم أجده . الكافي الشاف ٣/ ٤٤٣ بحاشية الكشاف . لكن يشهد لمعنى هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قيل له : إن فلاناً يصلي الليل كله ، فإذا أصبح سرق ! قال : «سينهاه ما تقول ، أو قال : ستمنعه صلاته» . أخرجه الإمام أحمد ١٥/ ٤٨٣ ، رقم ٩٧٧٨ ، ط . دار الرسالة ، وقال محققو المسند : إسناده صحيح . وأخرجه أيضاً ابن الجعد في مسنده ٣٠٦ ، رقم ٢٠٦٩ بلفظ : (ستنهاه قراءته) ، وأخرجه ابن حبان في الإحسان ٦/ ٣٠٠ ، حديث رقم ٢٥٦٠ ، وصحَّح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ١٦ عن كلامه على الحديث رقم ٢ .

وفي الآية قول ثانٍ ، قال مقاتل : إن الإنسان ما دام يصلي لله فقد انتهى عن الفحشاء والمنكر ، لا يعمل بهما ما دام يصلي حتى ينصرف[١] ، وهو قول الكلبي وابن عون[٢] ، قالا : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما كان فيها[٣] ؛ لأنه إن فعل شيئاً من هذين بطلت صلاته . واختار ابن قتيبة هذا القول ، وقال : المصلي لا يكون في منكر ولا فاحشة ما دام فيها[٤] .

قال الكلبي : ﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾ المعصية[٥] ، وهو : ما قبح من العمل ، ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سُنَّة[٦] ، والقول هو الأول[٧] .

وقوله : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ : اختلفوا فيه على وجهين ؛ روى عبدالله بن ربيعة عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إيَّاكم أكبر من ذكركم إيَّاه[٨] ، وروى عطية عنه ، قال : هو قوله : ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة :١٥٢] ، قال : فذكر الله

---

(١) تفسير مقاتل ٧٣ب .

(٢) تفسير مقاتل ٧٣ب .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٧ عن الكلبي . وتنوير المقباس ٣٣٦ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ عن ابن عون ، وكذا ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٦ ، وقد كتب اسمه تصحيفاً : أبو غوث ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠أ عن ابن عون .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ .

(٥) تنوير المقباس ٣٣٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٧ عن ابن عباس وعكرمة والحسن .

(٦) تنوير المقباس :٣٣٦ ، الفحشاء من المنكر ، فتكون الآية من باب عطف العام على الخاص ، كقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة :١٣٦] .

(٧) أي إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ولو بعد حين .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٨ ، وابن جرير ٢٠/ ١٥٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٧ ، كلهم من طريق عبدالله بن ربيعة ، وأخرجه أيضاً الحاكم ٢/ ٤٤٤ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٣٨ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح .
عبدالله بن ربيعة بن يزيد الدمشقي ، أخرج له الترمذي ، ولم أجد له ترجمة ، قال عنه ابن حجر : مجهول . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤٨٩ ، وتقريب التهذيب ٥٠٥ .

إيَّاكم أكبر من ذكركم إيَّاه[١] ، وهو : قول عبدالله ، وسلمان ، ومجاهد ، ومقاتل ، قـال : يقول : إذا صليت لله فقد ذكرته ، فيذكرك الله بخير ، وذكرُ الله إيَّاك أفضل من ذكرك إيَّاه في الصلاة[٢] .

ونحو هذا قال السـدِّي وسـعيد بن جبير[٣] ، وعلى هذا الوجه معنى قوله : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بعد قوله : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ هو أن الله لَمَّا أمر بإقام الصلاة ، والصلاة لا تخلو من ذكر الله فكأنه أمر بذكره ، فلمَّا أمـر بذكره أخبر أن ذكر الله العبد ما كان في صلاته أكبر من ذكر العبد ؛ لأن العبد إذا ذكر الله ذكره الله بالثواب ،كقوله : ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ، وهذا معنى قول الفرَّاء والزَّجَّاج وابن قتيبة ، في هذا الوجه الأول[٤] .

الوجه الثاني في تفسير الآية : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مما سواه ، وهو أفضل من كل شيء ، وهذا قول أبي الدرداء وقتادة[٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٦ ، وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٦٠أ مرفوعاً من طريق نافع عن ابن عمر .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٧ عن عبدالله بن مسعود ، وسلمان ، ومجاهد . وتفسير مقاتل ٧٤أ . وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠أ عن عبدالله ، وسلمان ، ومجاهد ، وعطية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٦ عن سـعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وأخرجه ٢٠/ ١٥٨ عن السدِّي ، وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٦١ب عن السدِّي .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٠ .

(٥) أخرجه عبدالـرزاق ٢/ ٩٧ عن قتادة ، وأخرجه عنهما ابن جريـر ٢٠/ ١٥٧ ، وذكره عنهما الثعلبي ٨/ ١٦٠أ .

وروي معنى هذا الوجه عن النبي ﷺ، وهو ما روى ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، قال: «ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل»[(١)].

والذكر: أن يذكره عندما حَرَّم، ويذكره عندما أحلَّ، فيأخذ ما أحلَّ[(٢)]، والمعنى على هذا الوجه أن الله تعالى أخبر أن ذكره على كل الأحوال أكبر وأفضل؛ وذلك أن العبد إذا كان ذاكراً لله في كل حال، لم يجرِ عليه القلم بمعصية؛ لأنه إذا ذكر ارتدع عما يهم به من السوء. فأمَّا من يذكره بلسانه وهو مع ذلك يرتكب محظوراً، وما لا يحل، فليس هو ذاكراً الله على الحقيقة، وعلى هذا لا تعلق لقوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ بما قبله.

وقال الفرَّاء وابن قتيبة في هذا الوجه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ هو: التسبيح والتهليل، يقول: هو أكبر وأحرى وأحق بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر[(٣)]. فعلى الوجه الأول: المصدر الذي هو الذكر مضاف إلى الفاعل، وفي الوجه الثاني: مضاف إلى المفعول، وإن قال قائل في معنى الآية على الوجه الثاني: إن الله تعالى أمر نبيه -عليه السلام- بتلاوة القرآن وإقام الصلاة، ثم قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني: تلاوة القرآن، أخبر أنه أكبر وأفضل من كل شيء، فالمراد بذكر الله في الآية: تلاوة القرآن[(٤)]. ويجوز أن يكون المعنى: وذكر الله الذي هو تلاوة القرآن أكبر من الصلاة، فهو أحرى أن ينهى عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) أخرجه الثعلبي ٨/ ١٦٠ب من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن مسعود يرفعه. وهذا إسناد لا يصح، فيه ضعف وانقطاع؛ فجويبر ضعيف جداً. تقريب التهذيب ٢٠٥، رقم ٩٩٤، والضحاك لم يلقَ ابن مسعود. تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٠ب.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٧، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨.

(٤) ذكر هذا القول ابن جرير ٢٠/ ١٥٤، فقال: قال بعضهم: عنى بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة، أو في الصلاة. ثم أخرج بسنده عن ابن عمر، قال: القرآن الذي يقرأ في المساجد. ولم يحكه عن غيره. وذكره عن ابن عمر، الثعلبي ٨/ ١٦٠أ، ولفظه: (القرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر).

قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد لا يخفى عليه شيء .

٤٦. قوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ؛ أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حُجَجه[١] . ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ : إلا من أبى أن يقرَّ بالجزية ، ونَصَب الحرب ، فأولئك فجادلوهم حتى يسلموا ، أو يعطوا الجزية . ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت :٤٦] ، وهذا معنى قول[٢] وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد ، قالوا في قوله : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أهل الحرب ، ومن لا عهد له فجادلوا هؤلاء بالسيف[٣] .

قال ابن زيد : ظلموا بالإقامة على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم[٤] .

وقال آخرون : كان هذا قبل أن أُمر النبي ﷺ بالقتال ، قيل له : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ من أتاكم من أهل الكتاب ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ، يعني : تعظونهم بالقرآن ، وتدعونهم إلى الإسلام ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ وهم الذين قالوا : مع الله إله ، أو له ولد ، أو شريك ، أو يد الله مغلولة ، وأن الله فقير ، أو آذوا محمداً فهؤلاء انتصروا منهم[٥] .

---

(١) تفسير ابن جرير ٢١/ ١ بنصه ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٦١أ .

(٢) هنا بياض ، ولعله : (مجاهد) لإخراج ابن جرير ذلك عنه ، والله أعلم .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦١أ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢ عن ابن زيد ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٦١أ عن ابن زيد .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢ عن قتادة بنحوه ، وآخره من قوله : قالوا : مع الله إله . وأخرجه ابن جرير ٢١/ ١ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٠ عن مجاهد .

قوله تعالى : ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ : يعني لأهل الكتاب سوى هؤلاء الظلمة . ثم نُسخ هذا بالقتال ، وهذا معنى قول الكلبي وقتادة ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح[(١)] .

وقال آخرون : المراد بأهل الكتاب هاهنا : عبدالله بن سلام ، ومن آمن منهم يقول : لا تجادلوهم وأخبروهم عما في القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ يعني : مشركيهم ، يقول : جادلوا الذين كفروا حتى تردوهم عن كفرهم ، وهذا معنى قول مقاتل وابن عباس في رواية عطاء[(٢)] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٨ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٨ ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧٧ عن قتادة . ورواية ابن أبي نجيح عن مجاهد أخرجها ابن جرير ٢١/ ١ ، وليس فيها ذكر النسخ ، بل يدل كلامه على أنها محكمة يراد بها ذوو العهد لا يجادلوا ، وإنما يجادل من لا عهد له ويقاتل حتى يعطي الجزية . الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ابن أبي طالب ٣٨٧ ، لكن ذَكَر النسخ عن مجاهد الثعلبي ٨/ ١٦١ب . وممن ذهب إلى أن الآية منسوخة بآية السيف مقاتل . تفسير مقاتل ٧٤أ . وهذا يقال فيه مثل ما قيل في ما سبق عند قوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان :٦٣] . وقد رجح ابن جرير ٢١/ ٢ أن أَوْلى الأقوال : إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب . وردَّ ردّاً حسناً على من ذهب إلى أن الآية منسوخة .

وحاصل الأقوال في هذه الآية ثلاثة :

١ ـ الآية منسوخة .

٢ ـ الآية محكمة يراد بها من آمن منهم .

٣ ـ الآية محكمة يراد بها ذوو العهد منهم . قال النحاس بعد ذكره هذه الأقوال : وقول مجاهد حسن ؛ لأن أحكام الله ـ عز وجل ـ لا ينبغي أن يقال فيها : إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر . الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧٧ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٤أ . وذكره النحاس عن ابن زيد ، ولفظه : (لا يجادل المؤمنون منهم إذا أسلموا ، لعلهم يحدثون بالشيء ، فيكون كما قالوا : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ من أقام على الكفر يجادل ، ويقال له الشر) . الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧٧ ، وعلى هذا تكون الآية محكمة .

٤٧. وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي وكما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا عليك الكتاب. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: يعني مؤمني أهل الكتاب[١]

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: يعني مسلمي أهل مكة[٢]. وقال ابن جرير: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: يعني كانوا قبل عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ. ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يعني الذين محمد بين أظهرهم، من أهل الكتاب ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب[٣]، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٤].

ثم قال: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؛ أي بعد المعرفة[٥] ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من اليهود؛ وذلك أنهم عرفوا أن محمداً نبي، والقرآنَ حق[٦]، فجحدوا وأنكروا ولم يقروا، وكفروا بذلك الجحود.

٤٨. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾؛ أي ما كنت تقرأ قبل القرآن كتاباً؛ أي ما كنت قارئاً قبل الوحي ولا كاتباً، وهو قوله: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾؛ أي ولا تخط الآن بيمينك كتاباً، وكذلك صفة النبي -عليه السلام- في التوراة والإنجيل أنه أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦١ب، وزاد: عبدالله بن سلام، وأصحابه.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٧، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٦١ب.

(٣) تفسير ابن جرير ٢١/ ٤ بمعناه.

(٤) وهو قول مقاتل. تفسير مقاتل ٧٤أ.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٠ عن قتادة، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٦١ب.

(٦) تفسير مقاتل ٧٤أ.

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧١ بمعناه.

قال مجاهد : كان أهـــل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ لا يخط بيمينه ، ولا يقرأ كتاباً ، فنزلت هذه الآية[١] .

وقوله : ﴿إِذًا﴾ . قال الفرَّاء : ولو كنت تتلو ﴿لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٢] . قال ابن عباس : لشك الكافرون[٣] . قال مجاهد يعني : قريشاً[٤] ، وهو قول قتادة[٥] . ومعنى الآية : لو كنت تكتب وتقرأ الكتب قبل الوحي إذاً لشـــكُّوا ، وقالوا هذا شيء تعلَّمه محمد وكتبه[٦] .

وقال مقاتل : يعني : كفار اليهود يقول : إذاً لشـــكُّوا فيكَ ، وقالوا : إن الذي نجدُ في التوراة نعتَه هو : أمي لا يقرأ الكتاب ، ولا يكتب ، ولا يخطه بيمينه[٧] .

وهذا هو القول ؛ لأن أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ بنعته وصفته حقاً يقينـــاً ، وإنما يجحدون نبوتَه بعد اليقين ، ويكفـــرون بالجحد ، فلو كان النبي ﷺ كاتباً قارئاً لكان بغير النعت الذي يعرفونه ، وكانوا يشـــكون . وأمَّا الكفار فإنهم ما عرفوه بالنبوة ، وكانوا شاكين مع كونه أُميّاً ، وإذا كان كذلك فلا معنى لقوله : ﴿إِذًا لَّارْتَابَ﴾ مـــع كونهم مرتابين ، ووجهه ما قال الفرَّاء : أي لَكان أشـــدَّ لِريبة

---

(١) أخرجه ابن جريـــر ٢١/ ٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧١ ، كلاهما بالإثبات : كان أهل الكتاب يجدون ، وفي النسختين بالنفي : كان أهل الكتاب لا يجدون . والأقرب الإثبات ؛ لما فيه من إقامة الحجة عليهم بما في كتبهم ، والله أعلم .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٧ .

(٣) تنوير المقباس ٣٣٦ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧١ ، واقتصر على هذا القول الزَّجَّاج ٤/ ١٧١ ، ولم ينسبه .

(٥) ذكره عنه الماوردي بلفظ : (مشركو العرب) . النكت والعيون ٤/ ٢٨٧ .

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٦١ب .

(٧) تفسير مقاتل ٧٤أ .

من كذَّب مِن أهل الكتـــاب[١] . فحُمل قوله : ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾ على زيادة الريبة ، على قول مجاهد ، والمعنى أن المشركين كانوا شـــاكين في نبوته ، مع أنه يخبرهم بقصص الماضين ، من غير أن يقدر على كتابة وقراءة ، فلو كان قارئاً كاتباً لاشتد ارتيابهم ، وقالوا : إنما تعلَّمه وقرأه من كتاب .

وتفســـير الآية : أي الذي يأتي بالباطل ، يقال : أبطل فلان إذا كذب وادَّعى غير الحق[٢] . وكلُّ من ادَّعى ديناً غيرَ الإسلام فهو مبطل .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ . قال الحسن : القرآن آيات بيِّنات . ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ : يعني المؤمنين[٣] .

وهو قول عبدالله بن عباس في رواية عطـــاء ، يريد : الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، وحملوه من بعد النبي عليه السلام . وعلى هذا الكناية عن القرآن والكتاب بقوله : ﴿هُوَ﴾ .

وقال قتادة : ﴿بَلۡ هُوَ﴾ يعني النبي ﷺ ، و﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ﴾ أهل العلم مـــن أهل الكتاب ؛ لأنهم يجدون في كتابهم نعته وصفتـــه[٤] . وعلى هذا التقدير : بل هو ذو آيات بيِّنات ، فحذف المضاف ؛ وذلـــك أن كونه بالنعت الذي ذُكر في كتابهـــم آيات واضحات له في صدور أهل الكتاب ، والعلم به ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ، بل هو وأموره آيات .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٧ .

(٢) كتاب العين (بطل) ٧/ ٤٣٠ . ونقله الأزهري في تهذيب اللغة ١٣/ ٣٥٥ .

(٣) أخرجه عبدالـــرزاق ٢/ ٩٩ ، وابن جرير ٢١/ ٦ ، وهو قول الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣١٧ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٢أ ، ولم ينسبه .

(٤) أخرجـــه عبدالرزاق ٢/ ٩٩ ، وابن جرير ٢١/ ٥ ، وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٥ عن ابن جريج ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٢أ عن ابن عباس .

وفي الآية قول ثالث ذكره الزَّجَّاج ، فقال : بل كونُه غيرَ قارئٍ ولا كاتب ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ لأنه إذا لم يقرأ ولم يكتب ، وأخبر بأقاصيص الأولين والأنبياء فهو ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[1] ، وهو معنى قول الكلبي[2] .

والظاهر من هذه الأقوال قول قتادة ومقاتل[3] لقوله : ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ : يعني كفار اليهود[4] ؛ لأنهم جحدوا نبوته وكتموا أمره بعد المعرفة .

٥٠. قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ، كما كانت الأنبياء تجيء بها إلى قومهم[5] . وقُرِئ : ﴿ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ على الجمع[6] . وحجة الإفراد قوله : ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء :٥] ، وقوله : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام :٣٧] ، وقد تقع آية على لفظ الواحد ويراد به كثرة ، كما جاء : ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون :٥٠] . واختار أبو عبيد الجمع ؛ لقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[7] . قال أبو علي : وهذا لا يكون دلالة على ترجيح القراءة بالجمع ؛ لأنهم إنما اقترحوا آية فقيل : الآيات

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧١ ، ولم ينسبه .

(٢) تنوير المقباس :٣٣٦ .

(٣) لم يسبق ذكر قول مقاتل ، وهو قريب من قول قتادة . تفسير مقاتل ٧٤ب .

(٤) تفسير مقاتل ٧٤ب .

(٥) تفسير مقاتل ٧٤ب ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢أ .

(٦) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم : ﴿ءَايَـٰتٍ﴾ جمعاً ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبي عمرو في رواية علي بن نصر : ﴿ءَايَةٌ﴾ على الإفراد . انظر السبعة في القراءات ٥٠١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها :٢/ ١٨٨ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٤٣ .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٥ ، ولم يصرِّح باسم أبي عبيد ، بل قال : وحجة الإفراد أن في حرف أُبي زعموا ، وصرَّح الثعلبي ٨/ ١٦٢أ بذكر أبي عبيد .

عند الله ؛ أي الآية التي اقترحتموها وآيات أُخر لم تقترحوها عند الله ، وهو القادر على إرسالها ، إذا شاء أرسلها ، مع ما ذكرنا أن لفظ الواحد قد يراد به كثرة[١] .

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يريد : أُنذر أهلَ المعصية بالنار ، وليست إنزال الآية بيدي . قال مقاتل : فلمَّا سألوا الآية قال الله تعالى :

٥١. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ؛ أي أو لم يكفهم من الآيات القرآن ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خبر ما قبلهم وما بعدهم ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي في إنزال الكتاب عليك ﴿لَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به وعمل به[٢] ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وتذكيراً وموعظةً ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ . قال مقاتل : وكذبوا بالقرآن فنزل :

٥٢. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾[٣] ؛ أي الله شاهداً بيننا أني رسوله[٤] ، وكفى هو شاهداً ، ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . وشهادة الله له إثباتُ المعجزة له بإنزال الكتاب عليه . ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ . قال ابن عباس : بغير الله ، وقال مقاتل : بعبادة الشيطان[٥] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٤ب .

(٣) تفسير مقاتل ٧٤ب .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢أ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٤ب . وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٣ عن قتادة بلفظ : (الشرك) .

٥٣. قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾؛ أي استهزاءً وتكذيباً[١] منهم[٢] بذلك يستعجلونك به. نزلت في الذين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢][٣]، وقد مرَّ[٤].

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ﴾ يعني: إن لعذابهم أجلاً، وهو يوم القيامة[٥].
قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]: هذا قول ابن عباس ومقاتل[٦].
وقال الضحاك: الأجلُ المسمى لعذابهم: مدةُ أعمارهم، فإذا ماتوا صاروا في العذاب[٧].

وقيل: الأجل المسمى: بدر[٨]، وهو قوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ يعني: العذاب ببدر على هذا القول، وهو قول عطاء عن ابن عباس. ودليل القول الأول قوله:

٥٤. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أخبر أن ميعاد عذابهم جهنم، وأنها تحيط بجماعتهم، فلا تبقي منهم أحداً إلا دخلها[٩].

---

(١) تفسير مقاتل ٧٤ب.
(٢) (منهم) في نسخة (ب).
(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٨، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٤ عن قتادة. ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧١ من دون نسبة. وقال الثعلبي ٨/ ١٦٢أ: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾
(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قال المفسرون: قال النضر بن الحارث: اللَّهم إن كان هذا الذي يقوله محمد حقاً من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي ببعض ما عذبت به الأمم.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٤ عن سعيد بن جبير. ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٨.
(٦) تفسير مقاتل ٧٤ب، وليس فيه ذكر الآية، وذكر الآية الزَّجَّاج ٤/ ١٧٢، ولم ينسب القول.
(٧) ذكره الثعلبي ٨/ ١٦٢أ.
(٨) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢أ، ولم ينسبه.
(٩) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢أ، وتفسير ابن جرير ٢١/ ٨ بمعناه.

ثم أخبر أن تلك الإحاطة متى تكون ، فقال :

٥٥. ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : هذا مثل قوله : ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف :٤١] ، وقوله : ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر :١٦][(١)] .

وقوله : ﴿وَيَقُولُ﴾ الموكل بعذابهم ، يقول لهم[(٢)] : ﴿ذُوقُوا۟﴾ ، ومن قرأ بالنون[(٣)] ؛ فلأن ذلك لَمَّا كان بأمره سبحانه جاز أن يُنسب إليه . وجوازه على هذا المعنى ؛ لأن القديم سبحانه لا يكلمهما[(٤)] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٤ب ، حيث ذكر الآية الثانية .

(٢) (يقول لهم) مكررة في نسخة (ب) . وفي تفسير مقاتل ٧٤ب : (يقول الخزنة لهم) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر : ﴿وَنَقُولُ﴾ بالنون ، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي : ﴿وَيَقُولُ﴾ بالياء . انظر السبعة في القراءات ٥٠١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٦ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٤٣ .

(٤) في إطلاق لفظ القديم على الله ـعز وجلـ خلاف ؛ لكون لفظ القديم لم يرد في الكتاب ولا في السُّنة ، ولم يتكلم به السلف من الصحابة والتابعين ، وإنما سمى الله نفسه بالأول والآخر ، وهو أبلغ لدلالته على القدم ، وأنه لم يسبقه شيء ، بل ولم يماثله شيء ، وعلى ذلك فلا يصح إطلاق القديم على الله تعالى بعدِّه من أسمائه ، وإن كان يصح الإخبار عنه بذلك ؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الإنشاء . مجموع الفتاوى ١/ ٢٤٥ ، وحاشية لوامع الأنوار البهية ١/ ٣٨ من كلام الشيخ عبدالله بابطين .
تنبيه : تكليم الله تعالى لعباده في الآخرة ثابت بنصوص كثيرة في الكتاب والسُّنة ، يكلمهم الله تعالى للحساب والجزاء ، ويستوي في هذا الخلق كلهم إلا أقواماً شاء الله تعالى أن يحرمهم ذلك ، تنكيلاً وزيادةً في العذاب ، فمن الأدلة على عموم التكليم وشموله قول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص :٦٥] ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فصلت :٤٧] ، ومن السُّنة قول النبي ﷺ : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه وبينه ترجمان» . الحديث أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، رقم ٧٤٤٣ ، فتح الباري ١٣/ ٤٢٣ ، ومسلم ٢/ ٧٠٣ ، رقم ١٠١٦ .
ومن الأدلة على حرمان أقوام من تكليم الله لهم ، قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة :١٧٤] ، ومن السُّنة قول النبي ﷺ : «ثلاثة لا =

وقيل : ﴿ذُوقُوا﴾ لوصول الألم إلى المعذب ، كوصول الذوق إلى الذائق . ومعنى : ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي جزاء ، كما قال :

دونكَ ما جنيتَه فاحسُ وذُق[1]

قال ابن عباس ومقاتل : ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب والافتراء على الله[2] .

٥٦. قوله تعالى : ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ ؛ وذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بالهجرة فاشتد ذلك عليهم ، وقالوا : كيف نخرج من ديارنا وأموالنا ، ونذهب إلى بلاد لا دار لنا فيها ، ولا مال ؟ فأنزل الله فيهم : ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ﴾ في معاشكم[3] .

وقال الكلبي : نزلت في أهل مكة ؛ أي لا تجاوروا الظلمة في أرضهم[4] ، وقال مقاتل : نزلت في ضعفاء مسلمي مكة ، يقول : إن كنتم في ضيق بمكة من

= يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ ، وملِك كذَّاب ، وعائل مستكبر» . أخرجه مسلم ١/ ١٠٢ ، كتاب : الإيمان ، رقم ١٠٧ ، والنسائي ٥/ ٨٦ ، كتاب : الزكاة ، رقم ٢٥٦٢ .

وتكليم الله تعالى لأهل النار في هذه الآية : ﴿وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ توبيخ وتقريع لأهل النار ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٨-١١١] ، والله أعلم . ملخص من : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ١٣١ وما بعدها ، ودرء تعارض العقل والنقل ٢/ ١٤١ وما بعدها ، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية ليوسف الجديع : ٩٠ وما بعدها .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٦ بنصه . ولم ينسب البيت . وفي الحاشية : لم نعثر عليه .

(٢) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٨ ، لكنه قال : فأنزل الله ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾ . وكذا عند الثعلبي ٨/ ١٦٢ب .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢ب بمعناه .

إظهار الإيمان بها ، فإن أرض المدينة واسعة من الضيق ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ يعني : توحدوني في المدينة علانية[١] .

وقال أبو إسحاق : تفسيرها أنهم أمروا بالهجرة من الموضع الذي لا تمكنهم فيه عبادة الله وأداء فرائضه ، وكذلك يجب على من كان في بلدٍ يُعمل فيها بالمعاصي ، ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر وينتقل إلى حيث يتهيأ له أن يعبدالله حق عبادته[٢] ، وهذا معنى قول مجاهد : ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ﴾ فهاجروا وجاهدوا[٣] .

وقال سعيد بن جبير : من أُمر بمعصية فليهربْ ، وتلا هذه الآية[٤] . وروى إسماعيل بن أبي خالد عنه في هذه الآية ، قال : إذا عُمل في أرضٍ بالمعاصي ، فاخرجوا منها[٥] .

وقوله : ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ . قال الزَّجَّاج : (إيَّاي) منصوب بفعل مضمر ، الذي ظهر يفسِّره . المعنى : فاعبدوا إيَّاي فاعبدون ، فاستغنى بأحد الفعلين عن الثاني ، ولو قلت : إيَّاي فاعبدوا ، كان إيَّاي منصوباً بما بعد الفاء ، ولا يحتاج إلى

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥أ ، وهو قول الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣١٨ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٩ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٥ ، وفيه : (ثم قرأ : ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء :٩٧]) . وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٢ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٩ من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٩ عن مالك بن مغول ، عن الربيع بن أبي راشد ، عن سعيد بن جبير بلفظ : (هو الرجل يكون بين ظهراني قوم يعملون بالمعاصي) .
إسماعيل بن أبي خالد ، الأحمسي مولاهم ، البَجَلي ، اسم أبيه : هرمز ، وقيل : سعد ، وقيل : كثير ، مُحدِّث الكوفة في زمانه مع الأعمش . روى عن عبدالله بن أوفى ، وأبي جحيفة ، وغيرهما ، وروى عنه شعبة ، وسفيان ، وشريك ، وغيرهم ثقة ثبت . انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٦ ، وتقريب التهذيب ١٣٨ .

إضمار فعل ، ودخول الفاء لمعنى الشرط ، بتقدير : إن ضاق بكم موضع فإيَّاي فاعبدوا ، فإن أرضي واسعة[١] .

قال مقاتل : ثم خوَّفهم بالموت ليهاجروا ، فقال :

٥٧. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[٢] : والمعنى لا بدَّ من الموت ، وكل أحد ميت أينما كان ، فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت[٣] .

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم[٤] ، وهذا حث على الطاعة في ما أَمر به من الهجرة . ثم ذكر ثواب من هاجر ، فقال :

٥٨. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ . قال ابن عباس : لنسكننهم غرف الدر والياقوت والزبرجد[٥] .

قال مقاتل : يعني لننزلنهم[٦] ، وهذا يدل على صحة قراءة العامَّة : ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ ، يقال : بوأت فلاناً منزلاً تبويئاً وتبوئةً[٧] ، وذكرنا ذلك قديماً[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٢ بتصرف .

(٢) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢ب .

(٤) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٥) ذكره عنه الطبرسي في مجمع البيان ٧/ ٤٥٥ .

(٦) تفسير مقاتل ٧٥أ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ .

(٧) تهذيب اللغة (باء) ١٥/ ٥٩٥ .

(٨) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس :٨٧] : قال أبو علي : التبوؤ : فعل يتعدى إلى مفعولين ، فعلى ما ذكر أبو علي يجوز أن تقول : تبوأت زيداً مكاناً ؛ أي اتخذت له ، ولم أرَ هذا لغيره ؛ لأنه يقال : تبوأ المكان داراً ، فيعدونه إلى مفعولين كما ذكر ، ويقال : تبوأ لزيد منزلاً ؛ أي اتخذه له ، فلا يعدون لزيد إلا باللام .

وقرأ حمزة والكسائي : (لَنُثْوِيَنَّهُم) ، وهي قراءة عبدالله والأعمش[١] ، يقال : ثوى بالمكان إذا أقام به[٢] ، ومنه قوله : ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص :٤٥] ؛ أي مقيماً نازلاً فيهم . والثويُّ : الضيف لإقامته عند المضيف[٣] .

قال الزَّجَّاج : يقال : ثوى الرجل إذا أقام ، وأثويته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه[٤] ، وقال حسان :

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجةً[٥]

أي أقام ونزل فيهم . وإذا تعدى ثوى ، فزيدت عليه الهمزة ، وجب أن يتعدى إلى المفعول الثاني[٦] .

قال الأخفش : قرأ الأعمش : (لَنُثْوِيَنَّهُم مِنَ الجَنَّةِ غُرَفاً) ، قال : ولا يعجبني ذلك ؛ لأنك لا تقول : أثويته الدار[٧] .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي : (لَنُثْوِيَنَّهُم) بالثاء ، وقرأ الباقون : ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ بالباء . انظر السبعة في القراءات ٥٠٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٨ ، وفيه ذكر قراءة الأعمش نقلها عن أبي الحسن ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٤٤ ، وأخرج الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣١٨ قراءة ابن مسعود .

(٢) قال ابن قتيبة : هو من : ثويت بالمكان ؛ أي أقمت به . غريب القرآن ٣٣٨ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٨ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٣ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٩ منسوباً إلى حسان ، وهو في ديوانه ٢٦١ . أخرج الحاكم عن يحيى بن سعيد قال : سمعت عجوزاً من الأنصار تقول : رأيت ابن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يتعلم منه هذه الأبيات :

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حجةً يُذكِّرُ لوْ ألفي صديقاً مواتياً

وساق بعده ستة أبيات ، ثم قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٩ .

(٧) لم أجده عند الأخفش في المعاني ، لكن ذكر أبو علي أن أبا الحسن قال : قرأ الأعمش . الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٠ .

قال أبو علي : ووجه هذه القراءة كان في الأصل : لنثوينهم من الجنة في غرف ، وحذف الجار ، كما حذف من نحو قوله :

أمرتُكَ الخيرَ[١] . . . .

ويقوِّي ذلك أن الغرف وإن كانت مختصة ، فقد أجريت المختصة من هذه الظروف مجرى غير المختص ، نحو قوله :

كما عسلَ الطريقَ الثعلبُ[٢]

ونحو : ذهبتُ الشامَ ، عند سيبويه . ويدل على صحة قول سيبويه ما روي في الحديث : «إنما أنا لكم كالوالد ، فإذا ذهب أحدكم الغائط» من غير حرف جر ،

---

(١) جزء من بيت لعمرو بن معد يكرب ، والبيت بتمامه :

أمرتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أمرتُ بهِ فقدْ تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

وقد أورده أبو علي في الحجة ٥/ ٤٤٠ مقتصراً على : أمرتك الخير ، ولم ينسبه . وقد استشهد به سيبويه على حذف حرف الجر ، ونصب الخير . الكتاب ١/ ٣٧ ، ونسبه إلى عمرو بن معد يكرِب الزُّبيدي ، واستشهد به كذلك المبرِّد في المقتضب ٢/ ٣٦ ، والبغدادي في خزانة الأدب ١/ ٣٣٩ ، ولم ينسباه .

(٢) أنشده كاملاً سيبويه في الكتاب ١/ ٣٦ ، ونسبه إلى ساعدة بن جُؤَيَّة ، والبيت بتمامه :

لدنٌ بِهزِّ الكفِ يعسلُ متنُه فيهِ كما عسلَ الطريقَ الثعلبُ

وأنشده كاملاً المبرِّد في الكامل ١/ ٤٧٤ من دون نسبة ، وأنشد عجزه أبو علي في الحجة ٥/ ٤٤٠ ، ولم ينسبه ، وعنه أخذ الواحدي ، وأنشده ابن جني في الخصائص ٣/ ٣١٩ ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : هذا البيت في وصف الرمح ، واللدن : اللين الناعم ، وقوله : يعسل متنه : يشتد اهتزازه ، ويقال : عسل الثعلب والذئب في سيره : اشتد اضطرابه .

وروي : «إلى الغائط»[(١)] . ويدل على صحة القراءة الأولى قوله : ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر :٧٤][(٢)] .

وقوله : ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ . قال ابن عباس : يريد تحت الغرف الأنهار ، كما وصف تبارك وتعالى : ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد :١٥][(٣)] .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ : مقيمين فيها لا يموتون ، ولا يهرمون ، ولا يسقمون .

---

(١) أخرج هذا الحديث بحرف الجر : «إلى الغائط» الإمام أحمد ١٢/ ٣٧٢ ، ط . دارالرسالة ، وابن ماجه ١/ ١١٤ ، كتاب : الطهارة ، رقم الحديث ٣١٣ ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب : الطهارة ، رقم ١٤٣١ ، الإحسان ٤/ ٢٧٩ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ١٠٢ ، كتاب : الطهارة ، كلهم من طريق يحيى بن سعيد القطان ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . والحديث في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٥٧ ، رقم ٢٥٢ ، وقال محققو المسند : إسناده قوي . ولم أجده بهذا اللفظ من دون حرف الجر إلا عند النسائي في السنن الكبرى من طريق عبدالعزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن مسلم بن قُرط ، عن عروة ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «إذا ذهب أحدكم الغائطَ فليذهب معه بثلاثة أحجار» . السنن الكبرى ١/ ٧٢ ، كتاب : الطهارة ، رقم الحديث ٤٢ ، والحديث في السنن الصغرى بهذا الإسناد بإثبات حرف الجر . سنن النسائي ١/ ٤٤ ، كتاب : الطهارة ، رقم الحديث ٤٤ ، وهو في صحيح سنن النسائي ١/ ١١ ، رقم الحديث ٤٣ ، وأخرجه الطبراني من طريق سلامة بن روح ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي أيوب ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من ذهب منكم الغائطَ فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره ، شرقوا أو غربوا» . المعجم الكبير ٤/ ١٤٣ ، رقم الحديث ٣٩٤٢ .
وسلامة بن روح مختلف فيه . انظر الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ١١٦٢ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٣ ، وميزان الاعتدال ٢/ ١٨٣ . قال عنه ابن حجر : صدوق له أوهام . تقريب التهذيب ٤٢٦ ، وعُقيل هو ابن خالد بن عقيل ، قال عنه الذهبي : الحافظ الإمام ، حدَّث عن ابن شهاب فأكثر وجوَّد ، وحدَّث عنه ابن أخيه : سلامة بن روح . انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٠١ ، قال عنه ابن حجر : ثقة ثبت . تقريب التهذيب ٦٨٧ ، وقال عنه عطاء بن يزيد الليثي : ثقة . تقريب التهذيب ٦٧٩ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٠ ، وليس فيه ذكر للحديث ، وقول سيبويه في الكتاب ١/ ٣٥ .

(٣) لعل الشاهد من إيراد هذه الآية بيان أن الأنهار التي تجري من تحت الغرف أنهار متنوعة ، كما ذكر في سورة محمد ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ ، والله أعلم .

وقوله : ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ . قال : يريد المهاجرين والأنصار . قال مقاتل : ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ لله[١] . وفي الآية حـذف يتم به الكلام ، كأنه قيل : نعم أجر العاملين الغرف أو الجنة[٢] .

٥٩. ثـم نعت هؤلاء فقال : ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ . قال ابن عباس : على دينهم ، وعلى المخمصة ، وعلى الجزع ، وترك الأموال والأولاد والدور[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ . قال : وبـالله يثقون في هجرتهم[٤] . قال ابن عباس : ذلك أن المهاجرين توكلوا على الله ، وتركوا دورهم وأموالهم .

قال مقاتل : إن أحدهم كان يقول بمكة : كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها دار ولا معيشة ؟ فوعظهم الله ليعتبروا ، فقال :

٦٠. ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾ وكم من دابة[٥] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . قال أبو إسحاق : كل حيوان على وجـه الأرض مما يعقل ولا يعقل فهو دابة ، وإنما هو : مَنْ دبت على الأرض ، والمعنى : من نفس دابة[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٨ عن مقاتل .

(٣) وقال مقاتل ٧٥أ : على الهجرة . وكل ذلك داخل مراد .

(٤) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٥) تفسـير مقاتل ٧٥أ ، ومجاز القـرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٧ ، وغريب القرآن لابـن قتيبة ٣٣٩ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٣ .

(٦) معـاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٣ ، قال أبو عبيدة : ومجاز الدابة : أن كل شيء يحتاج إلى الأكل والشرب فهو دابة من إنس أو غيرهم .

وقوله : ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ . قال ابن عباس : لا تقدر على رزقها . قال مقاتل : لا ترفع رزقها معها[١] .

وقال سفيان وعلي بن الأقمر : لا تدخر شيئاً لغد[٢] .

وقال أبو إسحاق : أي لا تدخر رزقها ، إنما تصبح فيرزقها الله ، وعلى هذا أكثر الحيوان[٣] . قال سفيان : وليس شيء مما خلق الله يَخْبَأُ إلا الإنسان والفأرة والنملة[٤] .

قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ : يرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم : إنَّا لا نجد ما ننفق بالمدينة[٥] ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبكم[٦] .

٦١. قال ابن عباس : ثم رجع إلى المشركين ، فقال : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ﴾ إلى قوله : ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ : يقرون بأن الله خالق هذه الأشياء . قال الله تعالى : ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : فكيف يكذِّبون بتوحيدي[٧] ؟ أي إذا كان الله هو الخالق وحده ، وجب أن يكون هو

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥أ . وقال ابن قتيبة : لا ترفع شيئاً لغد . غريب القرآن ٣٣٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١١ ، والثعلبي ٨/ ١٦٢ب ، كلاهما عن علي بن الأقمر من طريق سفيان . علي بن الأقمر بن عمرو الهمْداني ، الوادعي ، أبو الوازع ، كوفي ثقة ، حدَّث عن أسامة بن شريك ، وأبي الأحوص ، وغيرهما ، روى عنه الأعمش ، وشعبة ، وسفيان الثوري ، وغيرهم . انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٣ ، وتقريب التهذيب ٦٩٠ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٣ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢ب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٩ ، ونسبه إلى ابن عيينة . وعند الفرَّاء : إلا النملة فإنها تدخر رزقها لسنتها . معاني القرآن ٢/ ٣١٨ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٢ب .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٩ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٧٥أ .

المعبود وحده من غير شريك ، والمعنى : فكيف يُصرفون عن التوحيد بعد قيام الدليل ؟

قال مقاتل : ثم رجع إلى الذين رغَّبهم في الهجرة ، الذين قالوا : لا نجد ما ننفق ، فقال :

٦٢. ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[١] . قال ابن عباس : يريد البر والفاجر ، فكيف لا أبسط عليكم .

وقوله : ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ . قال مقاتل : ويقتر على من يشاء[٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مما أنتم فيه من الشدة ، وما أريد من إدخال الرفق عليكم ﴿عَلِيمٌ﴾ .

٦٣. وقوله : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ : يعني كفار مكة إلى قوله : ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ؛ أي الله الذي فعل هذه الأشياء[٣] .

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بإقرارهم بذلك ، قاله مقاتل وابن عباس[٤] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥أ .
(٢) تفسير مقاتل ٧٥أ .
(٣) تفسير مقاتل ٧٥أ .
(٤) تفسير مقاتل ٧٥أ .

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ : توحيد ربهم مع إقرارهم بأن الله خلق الأشياء كلها وحده[١] ، وأنزل المطر . والمراد بالأكثر : الجميع ، وقد مرَّ[٢] .

٦٤. قوله تعالى : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ : يعني الحياة في هذه الدار . ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد باطل وغرور وعبث تنقضي عن قريب[٣] .

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ : لهي دار الحياة لا موت فيها[٤] . وقال الكلبي : هي حياة لا يموت فيها أهلها[٥] ، وقال قتادة والسدِّي : لهي الحياة[٦] ،

وقال الفرَّاء : لهي الحياة حياة لا موت فيها[٧] ، وقال الزَّجَّاج : معناه : هي دار الحياة الدائمة[٨] ، وقال أبو عبيدة وابن قتيبة : ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ الحياة[٩] . فالمفسرون وأصحاب المعاني على أن الحيوان هاهنا بمعنى الحياة .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٢) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ١٠٠] : إنما دخلت بل هاهنا ؛ لأنه لمَّا قال : ﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ دلَّ على أنه كفَّر ذلك الفريق بالنقض ، فقال : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ كفار بالنقض ، وحسن هذا التفصيل ؛ لأن منهم من نقض عناداً ، ومنهم من نقض جهلاً . وقيل : معناه : كفر فريق بالنقض ، وكفر أكثرهم بالجحد للحق ؛ وهو أمر النبي ﷺ .

(٣) تفسير مقاتل ٧٥أ بلفظ : (باطلًا) فقط .

(٤) تفسير مقاتل ٧٥ب ، وتفسير ابن جرير ٢١/ ١٢ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٦٣أ . وأخرجه ابن جرير ٢١/ ١٢ عن مجاهد ، وأخرجه عن ابن عباس بلفظ : (باقية) . قال الأزهري : معناه : أن من صار إلى الآخرة لم يمت ، ودام حياً فيها لا يموت ، فمن أدخل الجنة حيي فيها حياة طيبة ، ومن دخل النار فإنه لا يموت فيها ولا يحيا . تهذيب اللغة (حي) ٥/ ٢٨٧ .

(٥) تنوير المقباس : ٣٣٨ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٩٩ عن قتادة .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٨ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٣ .

(٩) مجاز القرآن ٢/ ١١٧ ، وغريب القرآن ٣٣٩ .

قال أبو علي : قال أبو عبيدة : الحياة والحيوان والحي واحد ، فهذه على ما حكاه أبو عبيدة مصادر[١] . والحياة كالحَلْية والحَدَمَة ، وهي شدة التهاب النار[٢] .

والحيوان : كالفوران[٣] والغليان . والحِيُّ كالعِيِّ[٤] ، قالوا : حَيِي يحيا حياءً[٥] ، كما قالوا : عَيِي يَعْيا عياءً[٦] ، ومن ذلك قول العجاج :

كنَّا بها إذِ الحَياةُ حِيُّ[٧]

فهذا[٨] إذا الحياةُ حياةٌ .

وقال أبو زيد : الحيوان ما فيه روح[٩] . والمَوَتَان : ما لا روح فيه[١٠] . والحيوان في روايتي أبي زيد وأبي عبيدة على ضربين ؛ أحدهما : أن يكون مصدراً

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٧ بمعناه ، وهو في كتاب الشعر لأبي علي ١/ ٣٢١ غير منسوب .

(٢) تهذيب اللغة (حدم) ٤/ ٤٣٣ ، يعني أن أصلها : حَيْوَة على وزن : حَلْيَة ، أو : حَيَوَة على وزن : حَدَمَة ، والله أعلم .

(٣) هكذا في النسختين ، يقال : فارت القدر تفور فَوْراً ، وفَوراناً ، إذا غَلت . تهذيب اللغة (فار) ١٥/ ٢٤٧ .

(٤) العِيِّ : مصدر العَي ، يقال : عيي فلان بالأمر إذا عجز عنه . تهذيب اللغة (عيى) ٣/ ٢٥٨ .

(٥) تهذيب اللغة (حيى) ٥/ ٢٨٣ .

(٦) تهذيب اللغة (عيى) ٣/ ٢٥٧ .

(٧) هكذا أنشده أبو علي في كتاب الشعر ١/ ٣٢١ ، وصدَّره بقوله : قال رؤبة أو العجاج ، وأنشده أبو عبيدة ٢/ ١١٧ بلفظ :

وقد نَرَى إذِ الحياةُ حِيُّ

ونسبه إلى العجاج . وهو أيضاً في ديوانه ٢٤٩ ، وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة (حي) ٥/ ٢٨٥ غير منسوب ، واستشهد به على أن الحِي (بكسر الحاء) جمع الحياة .

(٨) في كتاب أبي علي : كأنه قال : إذِ الحياة حياةٌ ؛ أي الحياة غيرُ متكدرة ولا منغَّصة . كتاب الشعر ١/ ٣٢١ .

(٩) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ٢٨٧ ، ولم ينسبه .

(١٠) لم أجده في النوادر . وفي تهذيب اللغة (موت) ١٤/ ٣٤٣ : الموتان : كل شيء غير ذي روح ، وما كان ذا روح فهو الحيوان . ولم ينسبه إلى أبي زيد .

كـــما حكاه أبو عبيدة ، والآخر : أن يكون وصفاً كما حكاه أبو زيد . والحيوان على قول أبي زيد مثل الحَيِّ الذي يراد به خلاف الميت ، وقد جاء الصفة على هذا المثال نحو قولهم : رجلٌ صَمَيَانٌ للسريع الخفيف[١] ، والزَّفَيَان[٢] ، قال :

وتحتَ رَحلي زَفَيَانٌ مَيْلَعُ[٣]

فهذا أظهر من أن يقال له وصف بالمصدر ، فأمَّا قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ فيحتمل أن يكون المعنى : وإن حياة الدار الآخرة هي الحياة ؛ لأنه لا نقص فيها ولا نفاد لها ؛ أي فتلك الحياة هي الحياة لا التي يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدر على هذا . ويجوز أن يكون الحيوان الذي هو خلاف المَوَتان ، وقيل للدار الآخرة : الحيوان ؛ لأنها لا تزول ولا تبيد كما تبيد هذه الدار وتزول ، فتكون الدار وصفت بالحياة لهذا المعنى ، والمراد أهلها .

ويجوز أن يكون التقدير في قوله : ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ هي ذات الحيوان ؛ أي دار الآخـــرة هي دار الحياة ، كأنه لم يعتد بحياة هذه الدار حياة . فأمَّا القول في حروف الحيـــوان أن العين واللام مِثْلان في أصل الكلمة ، وأبدلـــت من الثانية الواو لَمَّا لم يســـع الإدغام في هذا المثال ، ألا ترى أن مثل : شَلَل وطَلَل[٤] يصح ولا يدغم ، فكذلـــك الحيوان لَمَّا لم يجـــز الإدغام تُوصل فيه إلى إزالـــة المثلين بالبدل ، ووجب ذلـــك في الثاني منهما ، وهو الكثير العام في كلامهـــم ؛ لأن التكرير وقع بها ، هذا

---

(١) تهذيب اللغة (صمى) ١٢/ ٢٦٠ .

(٢) الزَّفَيَان : الخفة . لسان العرب (زفى) ١٤/ ٣٥٧ .

(٣) أنشـــده الأزهري في تهذيب اللغة (زفى) ١٣/ ٢٦٥ ، ولم ينسبه . الملْع : سرعة سير الناقة ، وناقة مَيْلَع : سريعة . تهذيب اللغة (ملع) ٢/ ٤٢٦ ، وهو في لســـان العرب ١٤/ ٣٥٧ مع بيتين قبله غير منسوب ، وفيه : (ناقة زَفَيَان : سريعة) .

(٤) الشلل : ذهاب اليد ، يقال : شَلَّت يده تشـــلُّ ، فهو أشلُّ . تهذيب اللغة (شلل) ١١/ ٢٧٦ ، الطَّلَل : ما شـــخص من الديار ، يقال : حيَّا الله طَلَلك وأطلالك ؛ أي ما شـــخص من جسدك . تهذيب اللغة (طلل) ١٣/ ٢٩٥ .

مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما[١] ، إلا أبا عثمان فإنه ذهب في أن الحيوان غير مُبْدَل الواو ، وأن الواو فيه أصل وإن لم يكن منه فِعْل ، وشَبَّه هذا بقولهم : فَاظَ الميتُ يَفِيظُ فَيْظاً وفَوْظاً[٢] ، ولا يستعملون من فَوْظٍ فِعْلاً ، فكذلك الحيوان عنده مصدر لم يُشتقَّ منه فِعل ، بمنزلة فَوْظٍ ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون : فاظ يفوظ كما قالوا : فاظ يفيظ .

قال أبو علي : الذي أجازه أبو عثمان فاسد من قِبَل أنه لا يمتنع أن يكون في الكلام مصدر عينه واو ، وفاؤه لام صحيحان ، مثل : فَوْظٍ ، وصَوْغٍ[٣] ، وقَوْلٍ ، ومَوْتٍ ، وأشباه ذلك ، فأمَّا أن يوجد في الكلام كلمة عينها ياء ، ولامها واو فلا ، فحمله الحيوان على فَوْظٍ خطأٌ ؛ لأنه شَبَّه ما لا يوجدُ في الكلام بما هو موجود مطرد ؛ وبهذا علمنا أن حَيْوةَ في مثل : رَجاء بن حَيْوة ؛ أصله حَيَّة ، وأن اللام إنما قلبت واواً لضربٍ من التَوسُّع ، وكراهةً لتضعيف الياء ، ولأن الكلمة أيضاً عَلَم ، والأعلام يَعْرِضُ فيها ما لا يعرض في غيرها ، نحو : مَوْهَب ومَوْرَق ، ومَوْظَب[٤] .

قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ : يعني لو علموا لرغبوا في الباقي الدائم عن الفاني الزائل ، ولكنهم لا يعلمون .

---

(١) أصل الحيوان : حَيِيَان ، فقلبت الياء التي هي لام الفعل واواً استكراهاً لتوالي الحركات ، هذا مذهب الخليل وسيبويه . لسان العرب (حيا) ١٤/ ٢١٤ ، وقول سيبويه في الكتاب ٤/ ٣٩٩ .

(٢) فاظ الميت ، وفاظت نفسه : إذا خرجت . تهذيب اللغة (فاظ) ١٤/ ٣٩٦ .

(٣) الصَّوغُ : مصدر صاغ يصوغ ، والصِّياغة : الحرفة . تهذيب اللغة (صاغ) ٨/ ١٥٨ .

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ١٥٣ بتصرُّف ، وهو في لسان العرب (حيا) ١٤/ ٢١٤ ، وضبطت كلمة : مَوْرَق ، هكذا في سر صناعة الإعراب ، وهو اسم علم ، منه : مُورق بتشديد الراء . انظر ابن مُشَمْرِج ، وضم أوله . انظر ابن عبدالله العجلي . وقد ترجم له الحافظ بن حجر في تقريب التهذيب ٩٧٧ ، رقم ٦٩٨٩ .

ومَوْرَق (بفتح الميم وضمها) اسم موضع بفارس . معجم البلدان : ٥/ ٢٥٦ . قال ياقوت الحموي : ومَوْهَب ومَوْظَب اسمان لرجلين .

٦٥. قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. قال ابن عباس: يريد المشركين كفار مكة. وذكرنا معنى ﴿فِى﴾ عند قوله: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ [هود: ٤١][(١)].

و﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أفردوا الله بالطاعة، وتركوا شركاءهم فلا يدعونهم لإنجائهم، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ الله من أهوال البحر، وأفضوا إلى البر ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به في البر فلا يوحدونه كما وحدوه في البحر[(٢)]. وهذا إخبار عن عنادهم، وأنهم عند الشدائد يعلمون أن القادر على كشفها الله وحده، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم[(٣)].

٦٦. قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: في هذه اللام وجهان؛ إحدهما: أنها لام كي، وهي متعلقة بالإشراك، كأن المعنى: يشركون ليكفروا؛ أي ليجحدوا نعمة الله في إنجائه إيَّاهم؛ أي لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر، فليس يردُّ عليهم الشرك نفعاً إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة. ومن جعل هذه لام كي كسر لام قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾، ومن جزم اللام أراد الأمر[(٤)]، وهو على معنى التهديد والوعيد كقوله: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]،

---

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: وقوله تعالى: ﴿فِيهَآ﴾ لا يجوز أن تكون من صلة الركوب؛ لأنه يقال: ركبت السفينة، ولا يقال: ركبت في السفينة، والوجه هاهنا أن يقال: مفعول ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾ محذوف على تقدير: اركبوا الماء في السفينة، فيكون قوله: ﴿فِيهَآ﴾ حالاً من الضمير في: ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾، ويجوز أن يقال: المعنى: اركبوها؛ أي الفلك، وزاد: في للتأكيد كقوله: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وفائدة هذه الزيادة أنه أمرهم أن يكونوا في جوف الفلك لا على ظهرها، فلو قال: (اركبوها) لتوهموا أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة.

(٢) تفسير مقاتل ٧٥ب.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٨ بمعناه.

(٤) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بجزم اللام، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بكسر اللام. انظر السبعة في القراءات ٥٠٢، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٠.

و﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، ونحو ذلك من الأوامر التي معناها الوعيد[١]. ويدل على جواز الأمر هاهنا قوله في الأخرى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[٢].

٦٧. وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا﴾: ذكرنا تفسيره ونزوله في سورة القصص[٣]. قال ابن عباس: يعني مكة يأمن أهلها، ومن يلجأ إليهم[٤].

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡ﴾: يريد العرب يسبي بعضهم بعضاً، وأهلُ مكة آمنون[٥]. قال مقاتل: أدفع عنهم، وهم يأكلون رزقي، ويعبدون غيري[٦].

﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾: يعني الشيطان[٧]. وقال الكلبي: يعني الآلهة[٨]. ﴿وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ﴾. قال مقاتل: ﴿وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ﴾﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ﴾ [قريش: ٤] ﴿يَكۡفُرُونَ﴾[٩]، وقال الكلبي: بمحمد والإسلام[١٠].

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٩، وابن جرير ٢١/ ١٣ بمعناه. قال الزَّجَّاج ٤/ ١٧٤: قُرِئ بكسر اللام وتسكينها، والكسر أجود على معنى: لكي يكفروا وكي يتمتعوا.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤١، من قوله: في هذه اللام وجهان.

(٣) أشار إلى هذه الإحالة مقاتل في تفسيره: ٧٥ب. سورة القصص الآية رقم: ٥٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٢ عن الضحاك.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٤ عن قتادة بنحوه.

(٦) تفسير مقاتل ٧٥ب.

(٧) تفسير مقاتل ٧٥ب.

(٨) تنوير المقباس: ٣٣٨.

(٩) تفسير مقاتل ٧٥ب.

(١٠) تنوير المقباس: ٣٣٨ بنحوه.

٦٨. ثم ذكر أنهم أظلمُ الخلق، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي لا أحد أظلم ممن زعم أن لله شريكاً، وأنه أمر بالفواحش[١].

﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾: بمحمد والقرآن[٢]. ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: أمَا لهذا المكذب مأوى في جهنم[٣]، وهو استفهام معناه التقرير[٤].

٦٩. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. قال ابن زيد: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟﴾ هؤلاء المشركين وقاتلوهم في نصرة ديننا، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لنعصمنهم ولنرشدنهم إلى ديننا[٥]. والأَوْلى أن يكون معنى الهداية هاهنا: الزيادة منها والتثبيت عليها.

قال أبو إسحاق: أعلم الله -عز وجل- أنه يزيد المجاهدين هداية، كما أنه يزيد الكافرين بكفرهم ضلالة، كذلك يزيد المجاهدين هداية كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧][٦].

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٣أ.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٣أ وتنوير المقباس: ٣٣٨.

(٣) تفسير مقاتل ٧٥ب.

(٤) تفسير ابن جرير ٢١/ ١٤.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٥ عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾، فقلت له: قاتلوا فينا، قال: نعم. وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٤.

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٤، ومن أدلة ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وقال أبو سَوْرَة : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ في الغزو لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة[١] .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ . قال مقاتل : في العون لهم[٢] .

وقال الزَّجَّاج : تأويله : إن الله ناصرهم[٣] .

وقال ابن عباس : يريد بالمحسنين الموحدين .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٣ب .
أبو سَوْرَة الأنصاري ، ابن أخي أبي أيوب . قال الذهبي : أبو سورة ، عن ابن عمر ، وعنه مطعم بن المقدام ، مجهول . المغني في الضعفاء ٢/ ٤٧٣ ، وقال ابن حجر : ضعيف . تقريب التهذيب ١١٥٨ .

(٢) لم أجده عند مقاتل في تفسيره . قال الثعلبي ٨/ ١٦٣ب : بالنصر والمعونة في دنياهم ، وبالثواب والمغفرة في عقباهم .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧٤ .